من قبل الدولة. وتقدر تكلفة دراسة الطالب السعودي في الخارج بنحو 200 ألف ريال سعودي على الأقل سنوياً. وبهذا يبلغ إجمالي ما ينفقه السعوديون على التعليم في الخارج أكثر من 3,2 مليار ريال سنوياً.

❀ ❀ ❀

فلسفة 11 سبتمبر وتداعياتها

آن الأوان بعد مرور أربع سنوات تقريباً على حوادث الحادي عشر من سبتمبر لإجراء جرد أولي بكل ما تغير على الصعيد الجيوسياسي العالمي الذي سوف يؤثر على حياتنا، فبعد الحلقة التي بدأت في التاسع من نوفمبر 1989 مع سقوط جدار برلين، ها هي مرحلة تاريخية تنطلق اليوم بما لا يقبل الجدل.

بدأ كل شيء مع يوم الثلاثاء 11 سبتمبر عادياً، وغير مستغرب.. ولكن مع ضحى ذلك اليوم تم اكتشاف سلاح جديد.. طائرة ركاب مليئة بالوقود تتحول إلى صاروخ مدمر، هذا الصاروخ المدمر ـ غير المعروف قبل هذا التاريخ ـ ضرب أميركا على حين غرة ولمرات عدة في الوقت نفسه. كانت الصدمة من العنف بحيث أدت في الواقع إلى زعزعة العالم وزعزعة الكيان الأمريكي والغرور الذي يسبق السقوط.

ما تغير للوهلة الأولى هي النظرة إلى الإرهاب في حد ذاته، فبدأ مباشرة الكلام عن إرهاب مفرط للإشارة إلى أن الأمور لم تعد كالمعتاد ولن تكون كما هي في السابق. فلقد تم اجتياز عقبة لم تكن

في البال ولا في الحسبان. وبلغ العدوان مستوى من الضخامة بحيث لم يكن يشبه حدثاً معروفاً. حتى إنه يصعب تسميته أهو اعتداء أم هجوم أم حرب؟ لقد تم تجاوز حدود العنف الأقصى ولا يمكن بعده العودة إلى الوراء، ويعرف الجميع أن حوادث 11 سبتمبر هي افتتاحية سوف تتكرر في مكان آخر وفي ظروف مختلفة ربما، لكنها ستتكرر وهذا ما حصل بالفعل، ومن لا يتعلم، فالتاريخ يعلمه أن ثمة سلاحاً جديداً مهما كانت أضراره رهيبة فإنه سيعاد استعماله مرة ثانية. وقد صح ذلك مع استخدام الغاز القاتل بعد 1918، وتدمير المدن بالقصف الجوي بعد غيرنيكا عام 1937، وهذا ما زال يغذي الخوف من الرعب النووي بعد 56 عاماً على هيروشيما.

ويكشف اعتداء 11 سبتمبر عن قسوة عجيبة لدى منفذيه وعن درجة عالية جداً من القدرة المعقدة. ضربوا بقوة، ضربوا القلب وضربوا العقول، وقد سعوا إلى خلق ثلاثة أنواع من النتائج: خسائر مادية، وصدمة رمزية، وضربة إعلامية كبيرة.

الخسائر باتت معروفة: سقوط ثلاثة آلاف قتيل، انهيار برجي مركز التجارة العالمي، وأحد أجنحة وزارة الدفاع الأميركية.. البنتاغون، ولولا تحطم الطائرة الرابعة فوق بنسلفانيا لكان ـ ربما ـ البيت الأبيض في عداد هذه الخسائر. لكن هذا الخراب لم يكن بالتأكيد الهدف الرئيس للاعتداء. وإلا لكانت الطائرات استهدفت مثلاً محطات نووية أو سدوداً كانت تسببت بدمار أقرب إلى صور نهاية العالم وسقوط عشرات الألوف من القتلى.

كان الهدف الثاني توجيه صدمة للنفوس من خلال تحقير الرموز الرئيسة للعظمة الأميركية وإتلافها، تلك التي تدل على سيطرتها الإمبراطورية في المجالات الاقتصادية (مركز التجارة العالمي) والعسكرية (البنتاغون) والسياسية (البيت الأبيض).

أما الهدف الثالث الذي لم يلفت إليه الأنظار مثل سابقيه، فهو من الصنف الإعلامي. ففي نوع من الانقلاب التلفازي، سعى أسامة بن لادن، الدماغ المفترض لهذا الاعتداء، إلى احتلال الشاشات وفرض صوره ومشاهد دماره. فسيطر رغم أنف الإدارة الأميركية، ورغم قوة إعلامها القوي جداً والمعادي للإسلام والمسلمين على جميع شاشات الولايات المتحدة، ومن ورائها على شاشات العالم أجمع. وتمكن هكذا من كشف الهشاشة الأميركية غير المتوقعة وتبيانها.

إنه شكل من أشكال النرجسية يكتمل بوساطة الصورة المسيطرة في بداية الأزمة، وها هي صورة بن لادن نفسه، على خلفية كهف أفغاني، ظهر رسم الرجل ذو النظرات الغريبة، هذا الرجل الذي كان مجهولاً إلى حد بعيد عشية 11 سبتمبر، لكن هذه الصورة جعلت منه بين ليلة وضحاها أشهر رجل في العالم.

وقد باتت التجهيزات التقنية الشاملة تسمح ببث الصور مباشرة إلى أنحاء الأرض كافة. كان كل شيء جاهزاً للظهور، ولقد علمتنا قضية الأميرة ديانا بشكل خاص أن وسائل الإعلام المتزايدة أكثر من أي وقت مضى، موحدة ومتناسقة أكثر بكثير من السابق. وأن كل ذلك سوف يستخدم ذات يوم على يد نوع من الإعلام الإلكتروني.

obeikandl.com

ابن لادن.. هو الأول، فمن خلال اعتدائه في 11 سبتمبر، دخل إلى جميع شاشات العالم، وتمكن من بث رسالته الكونية. نابغة الشر أو دكتور مابوز جديد.. على الأقل في نظر الملايين وخصوصاً عبر العالم العربي الإسلامي. لا بل أكثر من بطل، إنه نوع من مهدي «يختاره الله ويرسله لتخليص الإنسانية من الشر».

ولا يتردد في سبيل هذا الهدف في اختراع إرهاب من نوع جديد، مهما بدا في ذلك من تناقض. يدرك الجميع أننا بتنا نواجه إرهاباً شمولياً في تنظيمه، وأيضاً في أبعاده وأهدافه، وهو لا يحمل مطالب محددة. لا استقلال أرض ولا تنازلات سياسية ملموسة ولا المطالبة بقيام نظام من نوع خاص. حتى إنه لم يصر حتى اليوم على تبني اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر بصورة رسمية، فيظهر هذا الشكل الجديد من الرعب وكأنه نوع من عقاب أو قصاص بسبب «سلوك عام» غير محدد تتهم به الولايات المتحدة وفي صورة عامة البلدان الغربية.

وقد عمد كل من الرئيس جورج بوش الذي تحدث عن «حملة صليبية» قبل أن يتراجع عن حديثه، وأسامة بن لادن، إلى وصف المواجهة بعبارات صدام الحضارات لا بل حرب الأديان. وقد أكد بن لادن أن العالم انقسم إلى «فسطاطين»، واحد تحت راية الصليب كما قال زعيم الكفرة بوش، والثاني تحت راية الإسلام.. أي تحت قيادته هو.

بعد تعرضها للمرة الأولى لهجوم بالغ الوحشية فوق أراضيها وفي حرم أكبر مدنها، قررت الولايات المتحدة الرد من خلال قلب معطيات السياسة الدولية. وقد حبس العالم أنفاسه في مرحلة أولى خشية إقدام الأميركيين على رد متسرع وعفوي. لكنهم تمكنوا من المحافظة على رباطة جأشهم بتأثير من وزير الخارجية كولن باول الذي تبين أنه أكثر شخصيات الإدارة الأميركية صفاء ذهن في ذلك الوقت، وقد نجحوا في استغلال التعاطف الدولي وتضامن الجميع خوفاً من ضغوطها ونفوذها ومن أجل ترسيخ سيطرتهم العالمية.

وكان واضحاً منذ ديسمبر 1991 وزوال الاتحاد السوفيتي، أن الولايات المتحدة باتت القوة العظمى الوحيدة، لكن بعض المعاندين هنا وهناك من أمثال روسيا والصين وفرنسا على طريقتها، كانت تتردد في قبول الفكرة. فجاءت حوادث الحادي عشر من سبتمبر لتمحو جميع الشكوك، حيث أقرت كل من موسكو وبكين وباريس علانية بالتفوق الأميركي. وهرع العديد من زعماء العالم وأولهم الرئيس الفرنسي جاك شيراك إلى واشنطن لتقديم تعازيهم رسمياً وإعلان تبعيتهم غير المشروطة عملياً... وبعدها أدرك الجميع أن الوقت ليس وقت مخادعة، فالرئيس بوش كان قد أنذر أن «من ليس معنا فهو مع الإرهابيين» وأضاف أنه سوف يتذكر الذين اتخذوا في هذه اللحظة بالذات موقفاً سلبياً وهو نوع من التهديد المبطن.

وبعدما أحاطت واشنطن الآخرين علماً بهذه التبعية العالمية، بما فيها الأمم المتحدة وحلف شمال الأطلسي، تصرفت بسلطة مطلقة ودون أي اعتبار لتوصيات حلفائها أو رغباتهم. فالتحالف المكون

يخضع لمعايير متحركة. فواشنطن تختار دائماً شريكها وتحدد له من طرفها المهمة المنوطة به دون أن تترك له أي هامش للمناورة. وقد ذكر أحد المحللين الأميركيين أنه «تقوم مشاركة أوروبا في هذه الحرب على قواعد من جانب واحد تفترض الموافقة الصريحة على وجود سلطة واحدة هي القيادة الأميركية». وهذا لا يقتصر على المجال العسكري فقط. ففي مجالات كثيرة نجد أن السيطرة تعود لأمريكا، وفي مجال المخابرات أو «الحرب الخفية» تجد أن الأمريكان هم المسيطرون، فقد وضعت أكثر من خمسين بلداً خدماتها في تصرف وكالة المخابرات المركزية الأميركية ومكتب التحقيقات الفيدرالية. وبناء عليه فقد تم عبر العالم توقيف أكثر من 350 مشتبه به ومتهم بالتعاون مع تنظيم «القاعدة» وبن لادن.

كان تفوّقُ الولايات المتحدة كبيراً فبات ساحقاً، وتبدو بقية الدول الغربية (فرنسا، ألمانيا، اليابان، إيطاليا وحتى بريطانيا) إلى جانبها في هيئة أقزام. وقد برهنت الولايات المتحدة عن قدرتها الكبيرة على فرض أمرها غداة الحادي عشر من سبتمبر.

أما على الجانب الآخر فقد اعتقد بن لادن من خلال تدبير اغتيال القائد شاه مسعود ـ وهو الزعيم العسكري لتحالف الشمال في أفغانستان ـ يوم التاسع من سبتمبر، أنه ينتزع بذلك ورقة حاسمة من يد واشنطن بعد الاعتداءات. واعتقد أنه لم يعد في إمكان الولايات المتحدة الاعتماد على تحالف الشمال، وإذا أصرت على ذلك للإطاحة

بنظام «طالبان» فإنها ستصطدم بباكستان، صاحبة القوة العسكرية الكبيرة التي تضم 150 مليون نسمة التي تملك سلاحاً نووياً. واعتقد بن لادن هكذا أن إسلام أباد لن توافق أبداً على تفكيك نظام حركة «طالبان» التي حققت من خلالها طموحاً تاريخياً هو السيطرة أخيراً على أفغانستان وتحويلها عملياً إلى محمية.

وإلى الشمال، حيث كانت العلاقات بين روسيا وأمريكا تتسم بالبرودة بسبب مشروع الدرع الصاروخية العزيز على قلب الرئيس بوش، كان من المفترض ألا تسهم موسكو أيضا مع واشنطن، وألاّ تقدم لها أي تسهيلات لدى حلفائها في آسيا الوسطى أي أوزبكستان و طاجيكستان. وبحسب هذا التفكير الذي لا يخلو من المنطق، يكون على الولايات المتحدة بعد الحادي عشر من سبتمبر أن تنصاع للقصف عن مسافة بوساطة صواريخ بعيدة المدى. هكذا يكون الرد مذهلاً لكن دون نتائج فعلية.

ومن خلال مجرى الأحداث تأكد أن حسابات بن لادن كانت كلها خاطئة. ففي أقل من أربع وعشرين ساعة وأمام الخيارات الحازمة التي وضعتها الولايات المتحدة أمام باكستان بمساعدتها أو بتحمل أخطار جسيمة في المجالات الاستراتيجية الرئيسة مثل كشمير والنزاع مع الهند وامتلاك السلاح النووي، لم تتردد القيادة الباكستانية العليا بل أقدمت كما هو معروف على التضحية بأفغانستان.

من جهتها، لم تتردد روسيا لحظة واحدة. وقد بادر السيد فلاديمير بوتين إلى الاتصال بالسيد بوش يوم 11 سبتمبر ليعرب له عن تضامنه. وقد وصل هذا التضامن في آسيا الوسطى حداً أقلق القيادة العسكرية حتى بات الحديث يدور حول احتمال انضمام روسيا إلى حلف شمال الأطلسي.

ويعني هذا الموقف الروسي الجديد بوضوح أنه لم يعد هناك على مستوى العالم أي إمكان لتشكيل تحالف عسكري من شأنه الوقوف في وجه الولايات المتحدة التي دانت لها السيطرة العسكرية المطلقة، وفي هذا السياق يمثل «العقاب» الذي أنزلته منذ السابع من أكتوبر 2001 بأفغانستان بقصفها ليلاً ونهاراً، تحذيراً مخيفاً لبقية دول العالم، فمن هو ضد الولايات المتحدة يجد نفسه وحيداً دون حليف ويعرض نفسه للقصف حتى يرجع إلى العصر الحجري. أما لائحة «الأهداف» التالية المحتملة فقد أعلن عنها في صفحات الجرائد الأميركية وهي العراق وإيران وسوريا واليمن والسودان وكوريا الشمالية.

الدرس الآخر بعد 11 سبتمبر هو أن العولمة مستمرة لتمثل إحدى ميزات العالم المعاصر الرئيسة. لكن الأزمة الأخيرة كشفت هشاشتها، لذلك تشدد الولايات المتحدة على الضرورة الملحة لإقامة ما يمكن تسميته جهاز أمن العولمة. ومع التحاق روسيا ودخول الصين منظمة التجارة العالمية وتوفر حجة مكافحة الإرهاب على المستوى الدولي التي تبيح الحد من الحريات وتقليص دائرة

الديمقراطية، يبدو أن الشروط قد اجتمعت للإسراع في إيجاد هذا الجهاز الأمني الشامل ووضعه على الأرجح تحت إشراف حلف شمال أطلسي جديد.

لكن أصواتاً ترتفع لترمي مسؤولية حوادث الحادي عشر من سبتمبر ولو جزئياً على العولمة الليبرالية من جهة لأنها فاقمت من حدة الظلم والتفاوت والفقر على مستوى الكرة الأرضية، وزادت من أحوال اليأس والقهر لدى ملايين الأشخاص المستعدين للتمرد في العالم العربي والإسلامي، للالتحاق بمجموعات إسلامية متطرفة من أمثال تنظيم «القاعدة» التي تدعو إلى العنف الأقصى.

من خلال إضعافها للدول وافتقارها للسياسة وتفكيك القوانين، شجعت العولمة ازدهار المنظمات ذات التنظيم الرخو، غير التراتبي وغير العمودي، الأشبه بالشبكة، وقد استفادت الشركات العالمية، كما المنظمات غير الحكومية مثلاً من هذا المعطى الجديد لتتكاثر. لكن منظمات طفيلية تكاثرت أيضاً ضمن الشروط عينها مستفيدة بطريقة فوضوية من الهامش الحر: المافيات وشبكات الجنوح والإجرام على أنواعه، والطوائف والمجموعات الإرهابية.

وتعتبر «القاعدة» في هذا المجال منظمة منسجمة تماماً مع عصر العولمة مع تشعباتها المتعددة الجنسية وشبكاتها المالية وارتباطاتها في حقلي الإعلام والتواصل مع أطراف لتموينها وواجهات العمل الإنساني ووسائط الدعاية وفروعها، وفروع تابعة للفروع... إلخ.

obeikandl.com

عرف العالم خلال تاريخه (الدولة المدينة)، وكانت ممثلة في أثينا، والبندقية، وكذلك (الدولة المنطقة) مثل (الحقبة الإقطاعية) وأخيراً (الدولة القومية) ممثلة بما كان يحدث في القرنين التاسع عشر والعشرين. لكن مع العولمة بدأت تظهر الآن (الشبكة الدولة) أو حتى (الفرد الدولة). وأول مثال جلي على ذلك هو السيد بن لادن، ولو أن هذا الأخير مازال في حاجة إلى دولة فارغة (الصومال في الأمس وأفغانستان اليوم) يقيم فيها ويوظفها في خدمة مطامعه.

وبالتالي فإن العولمة تشجع ذلك كما ستشجع غداً ظهور الشركات التي ستنزل على طريقة بن لادن في دولة فارغة، تعاني الفوضى المزمنة وتستخدمها على هواها. في هذا المجال أيضاً يكون بن لادن نوعاً من الرائد المخيف.

obeikandl.com

قصص واقعية

الحكومة الأمريكية :

تابع الكثيرون من النخب الفكرية والإعلامية في أنحاء العالم بقلق وحيرة، معالم جديدة ومثيرة في المجموعة الجديدة التي تحكم الإدارة الأمريكية، ولا سيما تلك الروح الدينية المتشددة، على الرغم من أنهم يدعون أننا نحن المتشددون والمتعصبون لديننا، ومن الطرائف التي سمعتها حينما صبوا جام غضبهم على مناهجنا الدراسية قولهم إنها هي السبب في 11 سبتمبر، ودعوا إلى تغييرها مع تغيير الخطاب الديني تجاههم، والطريف أنهم طالبوا بحذف الآيات القرآنية الداعية إلى الجهاد والداعية إلى حربهم أو تعديلها، وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ (البقرة: 75).

ما يريدونه هو أن نحرف ونعدل في كتاب الله: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٤٦﴾﴾ (النساء: 46) ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ (المائدة: 13).

وحينما أستشهد بهذه الآيات إنما أذكر بأنهم كما يقول المثل: (كل إناء بما فيه ينضح)، وكذلك المثل الشعبي القائل: (يعاملني بلسان طبعه)، فقد قاموا بتحريف كتبهم وسهل عليهم أن يقولوا: حرفوا أو بدلوا. ولكن لعل من الضار نافعاً، أن أدى ذلك إلى أن يلتفت العالمان العربي والإسلامي إلى بعض مناهجهم التي أكل الزمان عليها وشرب، فقد قامت المؤتمرات الداعية إلى تطوير شامل لمناهج العلوم الإسلامية وإلى تعزيز ثقافة الحوار مع الثقافات الأخرى من منطلق الخصوصية لا التبعية.

ورغم الحملة الشرسة على الإسلام والمسلمين وخصوصاً بعد 11 سبتمبر، إلا أنه لا يجب أن تقف أمامنا عائقاً أو تمنعنا من الإقرار بضرورة أن يتم تطوير شامل يحقق غرس القيم الإسلامية في نفوس الناشئة وفق مناهج شاملة، وبرامج تربوية معدة لتكوين جيل عالم بأمور دينه، وأن تحرص مناهج العلوم الإسلامية على منهاج الوسطية والاعتدال، وأن تكون بعيدة عن التطرف والغلو والإرهاب، وأن تؤكد قيم السلام والتسامح بين المسلمين وغيرهم من الشعوب، ولتحقيق مقاصد التعليم الإسلامي يجب أن يتم تطوير المناهج وفق ما يحتاج إليه واقع المسلمين دون رضوخ لأي ضغط خارجي أو دعوة هدفها تقليص التعليم الإسلامي، بحيث تنشأ الأجيال المسلمة جاهلة بأمور دينها.

ومن النقاط المهمة جداً التي يجب أن يهتم بها القائمون على مسؤولية التعليم، هي تعزيز ثقافة الحوار مع الثقافات الأخرى من منطلق الخصوصية لا التبعية، مع تضمين المناهج مقررات لها ارتباط

وثيق بأصول الدعوة ومناهج الدعاة وأساليب الوعظ والإرشاد؛ لأن أهم المقاصد من العلوم الإسلامية هي المعرفة الصحيحة بتوحيد الله سبحانه وتعالى والطريق الصحيح إلى عبادته وحده، ولعمري فإن ذلك من أشرف المقاصد، وكذلك تطبيق شريعة الله والدعوة إليه سبحانه، على بصيرة مع نشر المعرفة الصحيحة التي تُعين الناس على التعامل الصحيح مع شؤون الحياة، ليحيا الناس حياة إسلامية كريمة، يعمها الأمن والسلام مع التنبيه إلى مخاطر العولمة الثقافية على ذات الأمة وضرورة مواجهة تحدياتها المناوئة، لحماية الذات الإسلامية من خلال منهاج إسلامي تأخذ به مؤسسات الدعوة ومؤسسات التعليم والإعلام لتقديم البرهان بأن المسلمين أمة نشرت حضارة المعرفة والحق والخير والتعاون والعدل والسلام، وأنها بعيدة عن التطرف والإرهاب والعنف في التعامل مع غيرها، وأن ما يقوم به بعض الأفراد منها لا صلة له بجوهر الثقافة الإسلامية الصحيحة.

وبالعودة إلى تلك الروح الدينية المتشددة لدى الغرب ولا سيما أمريكا، فقد نقلت مجلة دير شبيخل الألمانية أخباراًعن عقد حلقات أدعية وصلوات في البيت الأبيض، يحضرها أركان الإدارة وعدد من القساوسة قبل اتخاذ أي قرار مهم، وقد ذكر أيضاً الكاتب الخاص لخطب الرئيس بوش «ديفيد فروم» في كتابه الأخير أنّه فوجئ بأن أول سؤال وجِّه إليه من مسؤول دخل يومه الأول للبيت الأبيض هو: «افتقدناك في صلاة الصبح»!، فهو سؤال أظن أن حركة طالبان ذاتها لم تكن توجهه إلى موظفيها!، كما كان لافتاً للجميع استخدام أركان

الإدارة الأمريكية في خطبهم ألفاظاً وأساليب دينية لم يسبق لها مثيل في أحاديث الساسة في الغرب على الإطلاق، بعضها وصل إلى حد استخدام «الحملة الصليبية» على لسان بوش الابن نفسه أو ما قاله مؤخراً (الإسلام الفاشي).

كما أن خطبه وخطب وزير العدل الأمريكي «جون أشكر وفت» وغيره أصبحت مشحونة بالتعبيرات المسيحية وعبارات من الإنجيل بصورة لافتة جداً، حتى قال عنها بعض المحللين الأمريكيين إنها تشبه خطب الكنائس وليست خطب رجال السياسة، مثل هذه التوجهات والروح الدينية المتشنجة كانت مثار قلق لدى دوائر عربية وإسلامية مختلفة على الرغم من وجود من «يعوم على عومهم» من الكتّاب العرب والمسلمين وينادي بتلطيف الخطاب تجاههم رغم أن الخطاب الديني أصلاً قد ذكر في القرآن الكريم ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾**﴾ (آل عمران: 64) ولكنهم كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾**﴾ (المنافقون: 4).

ولكن مثل هذه التوجهات زاد فزعها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ثم تحققت المخاوف من خلال موجة جديدة من القمع والترويع والتدمير لأي وجود إسلامي في أمريكا، مهما كان مسالماً، ومهما كان قانونياً، حتى إن الشغل الشاغل الآن هو البحث عن أي

هفوة أو شبهة مخالفة للقانون ـ مرورية كانت أم تعليمية ـ لتصفية حسابات قديمة مع المسلمين في أمريكا، وقد بدأت رسالة الرعب بعد أحداث سبتمبر مباشرة فقد تم اقتحام قوات الأمن الأمريكية لمكاتب المعهد العالمي للفكر الإسلامي في واشنطن، وإهانة العاملين فيه ومصادرة الأوراق وأجهزة الكومبيوتر والمتعلقات كافة . ومن الجدير بالذكر أن المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن مشهور عنه تبني أفكار ومفاهيم أكثر تماشياً مع الفكر الغربي، ولا يرضى عنها الجمهور الوسطي الأكبر في العالم الإسلامي، والأهم من ذلك أن المعهد من خلال قادته مرتبط وظيفياً بالإدارة الأمريكية، من خلال خدمات رسمية يقدمها، منها على سبيل المثال تقديم خدمات لوزارة الدفاع الأمريكية تخص الجنود المسلمين في الجيش الأمريكي، ومع ذلك فوجئ الجميع بهذه الهجمة العنيفة على المعهد. من هذا المنطلق نجد أن ذلك أعطى مؤشراً على أن هناك موجة عنف مؤسسي مقبلة لتصفية الوجود الإسلامي في أمريكا، لا سيما بعد التقارير التي انتشرت حول تزايد معدلات انتشار الإسلام في أمريكا لا سيما بين السود، وتجاوز الرقم مؤخراً العشرة ملايين.

وكان قد تردد سؤال في تلك الحقبة عن أسباب انتشار الإسلام بين المواطنين السود بسرعة وداخل السجون الأمريكية. ولتسليط الضوء على تلك الظاهرة وحجم مشكلة السجون في الولايات المتحدة يجدر أن نشير إلى أن الولايات المتحدة تشكل 5٪ فقط من سكان العالم، لكن لديها 25٪ من سجناء العالم. ويقبع في السجون الأمريكية

ما يقرب من 2.3 مليون شخص حالياً، وهي النسبة الأعلى لعدد المساجين مقارنة بعدد السكان في كل دول العالم. وقد أصبح الإسلام جزءاً مهماً من ثقافة الأمريكان السود وثقافة السجون الأمريكية لا سيما في العقود الثلاثة الأخيرة. وتبلغ نسبة المساجين المسلمين في السجون الفيدرالية ما نسبته 6٪ من إجمالي 150 ألف سجين. هذا على الرغم من أن عدد المسلمين في الولايات المتحدة لا يتجاوز 2.5٪ من إجمالي عدد السكان. ففي سجن جزيرة ريكرزRikers Island بولاية نيويورك المخصص لأخطر المجرمين، تبلغ نسبة المساجين المسلمين 25٪ من إجمالي المساجين. وكان أغلبهم قد تم اعتقالهم خلال الشهور التي تلت أحداث سبتمبر.

وينتشر الإسلام بصورة كبيرة بين من يقضون مدة في السجون الأمريكية، بنسبة تصل إلى أكثر من مثيلاتها خارج هذه السجون. أما في سجون الولايات المختلفة، فلا توجد بيانات عن أعداد المساجين المسلمين فيها. وعلى الرغم من وجود خلاف كبير حول إجمالي عدد المسلمين في السجون الأمريكية، فإنه يوجد اتفاق عام على أن نسبة المساجين المسلمين تفوق بصورة كبيرة نسبة المساجين من أي ديانة أخرى. وكان لما توفره تعاليم الإسلام بصفة عامة من مبادئ المساواة بين البشر، وعدم التفرقة بين البشر على أساس اللون دور كبير في جذب الأمريكيين الأفارقة السود بصورة أكبر من غيرهم لتبني الإسلام ديناً.

ومن أشهر النماذج الإسلامية في أمريكا أنموذج إسلام خوسيه باديلا Jose Padilla، فقد أعلن وزير العدل جون أشكروفت في 8 مايو 2002 عن إلقاء القبض على مواطن أمريكي يدعى خوسيه باديلا ـ ترجع أصوله لبورتوريكو، وكان قد أشهر إسلامه وأطلق على نفسه اسم عبدالله المهاجر ـ واتهم بتدبير مؤامرة لتفجير قنبلة إشعاعية قذرة في العاصمة واشنطن، حيث تتواجد أهم مؤسسات الإدارة الأمريكية مثل البيت الأبيض وجميع الوزارات الفيدرالية الأمريكية. وأشارت المعلومات التي كشفتها السلطات الأمريكية حول شخصية خوسيه باديلا الكثير عن كيفية اعتناق بعض أفراد الأقليات العرقية الإسلام في السجون الأمريكية. ولكن في عام 1992، حدث تطور مهم في حياته، عندما عمل مع صديقة له تدعى شيري «ماريا شولتز» في مطعم باكستاني بولاية فلوريد، حيث اعتنق الإسلام وتزوج منها. ثم أسلمت أيضاً صديقته وأصبح اسمها مروة. ووفقا لما ذكره عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي، سافر باديلا إلى مصر وتزوج من فتاة مصرية وعاش معها في إحدى المناطق الشعبية بضواحي القاهرة. وتقول مصادر مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI، إن خوسيه باديلا سافر بعد ذلك إلى أفغانستان وباكستان حيث التقى بمسؤولين في تنظيم القاعدة وتلقى تدريبات على شن الهجمات ضد المنشآت والفنادق واستخدام السلاح وصناعة القنابل والشحنات الناسفة بمختلف أنواعها. وتمثل هذه الحالة قلقاً كبيراً لخبراء الأمن الأمريكيين ولا سيما مع وجود حالة أخرى لشخص آخر يدعي

ريتشارد ريد Richard Reid، الذي كان قد اتهم بمحاولة تفجير طائرة أمريكية فوق المحيط الأطلنطي عن طريق مفرقعات خبأها في حذائه. وهو بريطاني كان قد اعتنق الإسلام في سجون بريطانيا.

وعادةً ما تطلب المباحث من أئمة مساجد السجون الأمريكية تقارير عمن يشتبه في تبنيهم إيديولوجيات متطرفة، وتتهم إدارة السجون الأمريكية على المستوى الفيدرالي ومستوى الولايات، بأن أسلوب الإدارة فيها يغذي ثقافة تقوم على العنف والوحشية والتطرف لدى المساجين، إذ غالباً ما تنتج عصابات عنيفة تقوم على أساس إيديولوجيات عنصرية ومتطرفة. والسجناء الضعفاء يتعرضون لسوء المعاملة والاعتداءات الجنسية، لذا يتجمع المساجين مع بعضهم تحت ستار ديني أو لغوي أو اجتماعي أو إقليمي داخل السجون من أجل الحصول على ميزات عضوية إحدى هذه الجماعات، وما يوفره هذا من أمان وحماية، وشعور بالانتماء. وهكذا أصبح الإسلام خلال العقود الثلاثة واحداً من هذه الألوية التي يتجمع تحتها أعداد كبيرة من المساجين. وتخلق هذه القضية - إلى جانب بعدها الأمني الخطير - معضلة عميقة فيما يتعلق بانتشار الإسلام في الولايات المتحدة واندماج الجالية الإسلامية مع بقية فئات المجتمع الأمريكي. ولأن الإسلام ليس له سلطة أو مؤسسة مركزية تدير شؤونه لا في الولايات المتحدة، ولا في سجونها، فإنه يتم الاستعانة بمسلمين من كل ولاية لتقديم خدمات دينية مثل الوعظ والإصلاح وإمامة الصلاة في بعض الأحيان. ولا يعرف أحد على وجه اليقين خلفيات هؤلاء الوعاظ

أو مؤهلاتهم الأكاديمية أو المعرفية. كما أن منظمات المسلمين الأمريكيين ليس لديها بيانات دقيقة عن المسلمين في السجون الأمريكية. وتحاول بعض هذه المنظمات رصد ما قد يتعرض له المسلمون من حالات تفرقة أو سوء معاملة بسبب الدين. ورصد مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية ـ منظمة «كير» ـ في تقريره عن وضع الحقوق المدنية لمسلمي أمريكا عام 2004 وجود ما يقرب من 1522 حالة انتهاك لحقوق المسلمين في السجون الأمريكية.

من ناحية أخرى، تقوم منظمات صغيرة مثل التجمع الإسلامي في أمريكا الشمالية بإمداد مكتبات السجون بالكتب والمصاحف سعياً للتعريف بالإسلام، ويدعم هذا التجمع الجهود الفردية لنشر الإسلام بين المساجين، لأنهم أكثر فئات المجتمع إقبالاً على الإسلام. وتحتوي معظم مكتبات السجون على نسخ من ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيرها باللغة الإنكليزية، وعدد من الكتب وأشرطة تعليمية تتناول المبادئ العامة والمفصلة التي يحتاجها المسلم الجديد في أمور العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، بلغة وأسلوب ميسرين، بالإضافة إلى أشرطة فيديو لتعليم الوضوء والصلاة.

ومن ناحية أخرى.. لم تخيب الإدارة الأمريكية الجديدة الظنون فيها، إذ بدأت حملة موسعة لترويع وإرهاب أي نشاط إسلامي خيري أو ثقافي أو روحي في أمريكا، وقاد وزير العدل الأمريكي «جون أشكروفت» وهو رجل دين بالأساس شديد التعصب ووالده قسيس، قاد الحملة بضراوة، وكان من ضحيتها مؤسسة النجدة، حيث تم

اعتقال أحد مؤسسيها في عملية تصفية حساب معها لجهودها الكبيرة في إعاقة نشاطات التنصير في ألبانيا والبوسنة من خلال خدمات إنسانية كبيرة قدمتها في تلك المناطق، اشتكت منها مؤسسات تنصيرية متعددة. ولا يوجد دليل واحد علني مقنع على الإطلاق قدم ضدها حتى اليوم، إلا مجرد ادعاء وجود شبهات بدعم العنف، وهي سخافات على طريقة الحادثة المشهورة التي اتهمت فيها الإدارة الأمريكية الطيار المصري جميل البطوطي بأنه انتحر في طائرته، وكان الدليل الحاسم لديهم أن شريط التسجيل في الصندوق الأسود سمع فيه الرجل وهو يقول: توكلت على الله!

كذلك طالت حملة تصفية الحسابات القديمة كل من كان له موقف من نصرة قضية الشعب الفلسطيني ومعارضة الإرهاب الصهيوني في فلسطين، فتم اعتقال الدكتور سامي العريان، الذي طالما حاولوا إلصاق التهم به ففشلوا وطردوه من الجامعة التي يعمل بها، ثم تم اعتقال الطبيب والداعية الدكتور رافل ظافر.. وهو طبيب مرموق متخصص في الأورام.. أمريكي الجنسية منذ أكثر من ربع قرن، اعتقل بتهمة تقديم العون لأطفال العراق وقت الحصار، وقد كان الدكتور رافل يقوم بالدعوة للتبرع لأطفال العراق علانية وعلى مدار سنوات طويلة تحت سمع وبصر الأجهزة الأمريكية، ثم اعتقلوه أخيراً بتهمة خرق قرارات الحصار على العراق. ولأن سبحة التطرف والإرهاب تم فرطها دون توقف، فقد تم اعتقال الشاب السعودي المتميز سامي الحصين، وهو يحضر الدكتوراة في مجال علوم الكومبيوتر، وكان آية

في العطاء الخير بطيب نفس، بعيداً عن أي ارتباطات تنظيمية.. كان لا يرد طلباً لأحد.. شخصاً كان أم مؤسسة قانونية تطلب منه مشورة فنية، ومن أعماله التطوعية قيامه بتطوير موقع مجلة المنار الجديد على الإنترنت كنوع من المجاملة، كما تطوع بالتبرع بالدم في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر كنوع من التضامن مع الشعب الأمريكي، ولكن حملة الإرهاب الأمريكي رأت أنه يدعم العنف ضد الولايات المتحدة من خلال دعمه ـ حسب ما هو معلن ـ لمواقع التجمع الإسلامي على الإنترنت، وهو كلام لو قلنا إنه نكتة سخيفة لكان التعبير أقل من وصف حجم الهزل، والكذب الفاضح في هذا الاتهام، وهذا هو طبع الإعلام الأمريكي دائماً؛ إذ يضلل الشارع الأمريكي، ويحاول دائماً أن يغطي على هفوات الساسة الأمريكان وفشلهم الذريع في التعامل مع الأحداث، بتزييف الحقائق وتلبيس الأبرياء التهم دون أدلة ودون حتى احترام للحقوق المدنية التي كانوا يتشدقون بها دائماً.

إنها إذاً حقيقة السياسة الأمريكية شئنا أم أبينا، فلقد تدافع عشرات الصحفيين الأمريكيين لمراجعة تلك المواقع ـ مواقع التجمع الإسلامي على الإنترنت ـ فلم يجدوا شيئاً، ولربما أزعجهم نشر مقالات المفكرين العرب والمسلمين التي كانت توضح الأمور وتجلي الأبصار ولا سيما الأمريكية منها، رغم أنها منشورة سابقاً في صحف خارج أمريكا.

وقام مكتب التحقيقات الفيدرالي بعد أحداث سبتمبر بعملية حصر واسعة النطاق لجميع المساجد الموجودة في أنحاء الولايات المتحدة، لتوزيعها على ستة وخمسين فرعاً لها لإخضاعها للمتابعة والتفتيش والمراقبة المستمرة كأماكن مشبوهة! كما قام مكتب التحقيقات بتعميم خطاب إلى جميع المراكز الإسلامية والمساجد بإعطاء الفروع الأمنية لمكتب التحقيقات قوائم بجميع المسلمين المترددين على هذه المساجد والمراكز، مع بيانات عنهم. وهو إجراء إرهابي لا مثيل له مع طائفة أو دين في تاريخ أمريكا منذ نشأتها. وقد نالنا في كاربنديل ذلك الإجراء حيث تم استدعاء بعض الإخوان العرب والمسلمين والسعوديين خاصة، وقد داهموهم في بيوتهم وشققهم وتمت مساءلتهم حول أمور غريبة جداً، منها ـ على سبيل المثال لا الحصر: هل لديك سلاح أو قنبلة؟ هل لك علاقة بأحداث سبتمبر أو مع من قام بها؟ على تعرف فلاناً وفلاناً؟ وما هي علاقتك بهذا وذاك؟ ثم يطلب من الشخص تدوين كل معلوماته وكتابة عنوانه كاملاً في أوراق تم توزيعها من قبلهم. وفي النهاية يتم أخذ أجهزة الحاسب الشخصية وجميع الأقراص المتواجدة في البيت أو الغرفة بعد أن يقوموا بتفتيش البيت تفتيشاً مزعجاً جداً. لكن ما كنا نخشاه هو أن تكون مثل هذه الاندفاعات المهووسة التي يقودها اليمين المسيحي المتطرف في الإدارة الأمريكية وسيلة أو طريقة لتصفية الحساب مع الوجود الإسلامي في أمريكا مع تقديم

دعم معنوي هائل لقوى العنف والتطرف الحقيقي، تلك التي قامت، أو ظهرت بعض أفعالهم خلال تلك الحقبة من خلال برهانها العملي الواضح على أن الحملة الأمريكية ليست كما يروجون «مجرد حملة على الإرهاب والعنف» إنما هي حملة على الوجود الإسلامي ذاته، وأخشى أن تتعاظم هذه الحملة التي يندفع فيها فريق «جون أشكروفت» لتشعل حريقاً إنسانياً يجتاح العالم كله، وتؤسس عهداً جديداً يحيي في الأرض صراعات وأحقاداً قديمة، ظن العالم - وما زلنا نظن معه - أن مسيرة الرشد في عالم البشر قد تجاوزتها، وطوتها إلى الأبد.

الدكتور وليد فتحي:

يأبى الله إلا أن يتم نوره، فقد اطلعت على قصة كتبها صاحبها وكتب عن وضع الإسلام والمسلمين في إحدى المدن الأمريكية المهمة جداً.. ولعلي أسترجع ما ذكرت سابقاً وأقول: «لعل الأمر فيه خير» فلقد أضرت تلك الحوادث بالإسلام والمسلمين.. ليس في هذا جدال، ولكن كان فيها أيضاً خير، عن طريق تلك الأمور غير المباشرة التي سهلت على الدعاة واختصرت سنين طوالاً للوصول إلى عقول جميع مستويات المجتمع الأمريكي.. فرب ضارة نافعة. فقليل جداً الآن من الشعب الأمريكي من لا يعلم ولا يعرف عن الإسلام شيئاً. وإليكم قصة الدكتور وليد أحمد فتحي وهو استشاري غدد صماء وسكر ورئيس برنامج في مركز جوزلن للسكر وعضو هيئة تدريس كلية طب جامعة هارفرد ـ بوسطن. فقد قال الدكتور فتحي:

obeikandl.com

«استيقظت صباح الثلاثاء الحادي عشر من سبتمبر على رؤيا رأيتها قبل صلاة الفجر، فقد رأيت جبالاً جرداء تهتز من حولي كأنها زلزال عظيم، وأنا أتلو في منامي قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الأنعام: 91) وذهبت إلى عيادتي وسمعت من أول مريض لي عن الطائرة الأولى التي ارتطمت بمركز التجارة العالمي، وسمعت بالطائرة الثانية من مريضي الثاني. وبدأ الإعلام منذ اليوم الأول يلمح بأن هناك أيدي مسلمة وعربية خلف ما حدث.. وفي تمام الساعة الثانية عشرة اجتمع أمناء المركز الإسلامي في بوسطن وإدارته ولجانه وإمامه اجتماعاً طارئاً، وكنت معهم على الهاتف من عيادتي، وقررنا القيام بحملة تبرع بالدم، وكوّنّا لجنة للاتصال بالصليب الأحمر الأمريكي والترتيب معهم، ودعونا الإعلام لتغطية الحدث، واتصلنا بسلطات المدينة والولاية فسارعوا بتسخير رجال الأمن لحماية المركز الإسلامي وممتلكاته وزائريه. وقد كان يوماً عصيباً علينا جميعاً، وكنا نتلهف على أية معلومة تبعد التهمة النكراء عن الأيدي المسلمة العربية. وفي يوم الأربعاء 12 سبتمبر، انهالت علينا الصحف وقنوات التلفاز والمذياع تمطرنا جميعها بالأسئلة من كل مكان، ودعيت إلى قناتين تلفازيتين وصحف محلية ودولية عدة مثل: WALL STREET JOURNAL وBOSTON GLOBE، ونحن نحاول أن نثبت إنسانيتنا بصفتنا بشراً، وأننا أبرياء مما حدث.. نعم إخوتي وأخواتي.. كنا نحاول أن نثبت إنسانيتنا وفي يوم واحد وجدنا أنفسنا نقف على ثغر مفتوح، وينهال علينا الهجوم من كل مكان، وقلوبنا تدمى ولسان حالنا يقول: إن الدعوة إلى الله قد تراجعت خمسين

عاماً في أمريكا والعالم أجمع. وفي يوم الخميس الموافق للثالث عشر من سبتمبر، اجتمع في الساحة المقابلة لمقر عمدة مدينة بوسطن CITY HALL عشرة آلاف شخص، وتحدث رؤساء الديانات بمن فيهم المسلمون، الذين شرحوا موقف الإسلام من هذه الجريمة.. وشاهد الملايين ذلك واستمعوا إلى القرآن الكريم أيضاً، وحدث مثل هذا في كل ولايات أمريكا.

وفي يوم الجمعة دعينا مرة أخرى للمشاركة في برامج تلفازية عدة، فشاركت في أحد هذه البرامج. كما شارك في صلاة الجمعة في المركز الإسلامي للجمعية الإسلامية في بوسطن (في خيمة مخصصة لذلك) رؤساء الكنائس المجاورة وعمدة مدينة كامبردج وساروا مع المسلمين تضامناً معهم حتى مقر عمدة مدينة كامبردج، وشرح الإسلام للحاضرين تحت تغطية إعلامية تناقلتها وسائل الإعلام.

في يوم السبت الموافق 15 سبتمبر اصطحبت زوجتي وأولادي - أحمد ومريم ويوسف - إلى أكبر كنيسة في بوسطن COPLEY SQUARE - تلبية لدعوة رسمية للجمعية الإسلامية في بوسطن لتمثيل الإسلام في دعوة خاصة لأعيان مدينة بوسطن. فحضر عمدة المدينة وزوجه ورؤساء جامعات، وزاد عدد الحاضرين عن الألف تحت تغطية إعلامية من إحدى القنوات التلفازية الرئيسة في بوسطن. واستقبلنا استقبال السفراء وجلست وزوجتي وأولادي في أول صف بجوار زوجة عمدة مدينة بوسطن، وتحدث كبير القساوسة في خطبته

فدافع عن الإسلام بصفته ديناً سماوياً، وأعلم الحاضرين بوجودي ممثلاً للجمعية الإسلامية في بوسطن. وبعد الانتهاء من المحاضرة وقف بجواري كبير القساوسة وقرأت البيان الرسمي الذي صدر من كبار علماء المسلمين الذي يدين العمل الشائن ويشرح موقف الإسلام و يبين مبادئه وتعاليمه السامية، ثم قرأت ترجمة آيات من القرآن الكريم باللغة الإنكليزية أولاً ثم رتلتُ ترتيلاً مرتفعاً قوله تعالى: ﴿ ... **أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ (المائدة: 32) وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾** ﴾ (الحجرات: 13) وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾** ﴾ (المائدة: 8).

لقد كانت لحظات لن أنساها، تلك التي انقلبت فيها الكنيسة إلى بكاء عند سماع آيات من كلام الله تعالى تتلى على الحاضرين، وانهالت المشاعر الفياضة علينا فيقول أحدهم لي: (إنني لا أفهم اللغة العربية ولكن ما نطقت به هو من كلام الله لا شك)، وأخرى تضع في يدي ورقة وهي تغادر الكنيسة باكية وتكتب فيها: (اغفروا لنا ماضينا وحاضرنا وادعوا لنا)، وآخر يقف على باب الكنيسة وينظر إليّ بعينين دامعتين ويقول: (أنتم مثلنا.. بل أنتم خير منا)، وطلب كثيرون مني عنوان الجمعية الإسلامية في بوسطن لزيارتها والاستماع

للمحاضرات الأسبوعية وسماع القرآن يتلى أثناء الصلاة. وفي لحظات قليلة أحسست بحكمة الله تعمل بطريقتها التي لا يدركها ولن تدركها عقولنا المتواضعة، وقامت أكبر القنوات التلفازية بتغطية الحدث وإجراء مقابلة معي بعدها.

في يوم الأحد 16 سبتمبر قامت الجمعية الإسلامية في بوسطن بتوجيه دعوة مفتوحة في مقر المركز الحالي في كامبردج والموجود بين جامعتي هارفارد، وMIT، ولم نتوقع أن يحضر أكثر من مئة شخص، وكانت مفاجأة لنا أن يحضر أكثر من ألف شخص من الجيران ومن أساتذة جامعات ورجال دين.. بل وحضر كبار القساوسة من الكنائس المجاورة التي دعينا إليها لإلقاء كلمات عن الإسلام. وتحدث الجميع تضامناً مع المسلمين. لقد انهالت علينا أسئلة كثيرة تريد أن تعرف عن الإسلام وتفهم تعاليمه، ولم يكن بين الأسئلة سؤال واحد تهكمي بل على العكس من ذلك فقد رأينا الأعين تدمع وهي تسمع عن الإسلام ومبادئه السامية، ومنهم الكثيرون ممن لم يسمعوا من قبل عن الإسلام.. نعم.. لم يسمعوا عن الإسلام إلا من وسائل الإعلام المغرضة. وفي اليوم نفسه دعيت مرة أخرى لأشارك في اللقاء الذي عقد في الكنيسة التي شاركت فيها في اليوم السابق، وتكرر الحدث وتكرر المشهد وتكررت المشاعر وتكررت رغبة الكثيرين في زيارة المركز الإسلامي لمعرفة المزيد عن الإسلام وسماع كلمات الله تتلى، وتكررت الدعوات التلفازية والتغطية الإعلامية والمشاركة يومي الإثنين والثلاثاء، فاستضافتنا أكثر من خمس قنوات تلفازية.

دعيت مرة أخرى في يوم الأربعاء من قبل عمدة المدينة المجاورة لشرح موقف الإسلام أمام آلاف من سكان المدينة، وتلي القرآن على الآلاف وغطى الإعلام كل ذلك. وفي يوم الخميس زار مركز الجمعية الإسلامية في بوسطن بعثة من ثلاثمئة طالب وطالبة وأساتذة جامعة هارفارد برفقة سفيرة الولايات المتحدة في فيينا، وجلسوا جميعاً على أرض ساحة المسجد. وامتلأ المكان وشرحنا تعاليم الإسلام الغراء، ودفعنا الشبهات التي تثار حوله، وقرأت آيات الله عليهم مرة أخرى، ودمعت العيون وتأثر الحاضرون، وطلب كثير منهم الحضور للمشاركة والاستماع للدروس الأسبوعية التي يعقدها المركز الإسلامي لغير المسلمين. ودعيت في مساء اليوم نفسه للمشاركة في برنامج على مستوى أمريكا كلها مع البروفسور ALAN DERSHOWITZ من جامعة هارفارد لمناقشة الحقوق المدنية والإنسانية في القوانين الأمريكية والدولية، وشارك في البرنامج إخوة وأخوات لنا من المسلمين حول أمريكا.

وفي يوم الجمعة 21 سبتمبر، شارك المسلمون في اجتماع مغلق مع حاكمة ولاية ماستشوستس، وتمت مناقشة إدخال مادة لتعليم الإسلام في المدارس كمنهج دراسي لتوعية الشعب ومحاربة العنصرية ضد المسلمين الناجمة عن جهل الشعب الأمريكي بالدين الإسلامي، وتمت الموافقة والتأييد من حاكمة الولاية وبدأت الخطوات لدراسة كيفية تحقيق هذا الهدف. أما صلاة الجمعة في مركز الجمعية الإسلامية في بوسطن فقد تمت تغطيتها بالكامل من قبل قناة CNN، وكذلك

الحال بالنسبة للدرس الأسبوعي ليلاً. وما ذكرت لكم ليس إلا أمثلة لما حدث ويحدث في مدينة بوسطن هذه الأيام، ويحدث مثل ذلك في كثير من المدن الأمريكية الأخرى. إن الدعوة إلى الله لم تتقهقر وتتراجع خمسين عاماً كما كنا نحسب في الأيام الأولى من جريمة الحادي عشر من سبتمبر، وإنما شهدنا أحد عشر يوماً هي بمثابة أحد عشر عاماً من تاريخ الدعوة إلى الله. وها أنا أكتب إليكم اليوم هذه الكلمات وكلي ثقة أن الإسلام سينتشر إن شاء الله في أمريكا والعالم أجمع خلال الأعوام القادمة أسرع مما كان ينتشر سابقاً؛ إذ إن العالم أجمع يسأل: (ما هو الإسلام؟) ومن يرى بأم عينيه ليس كمن يقرأ ويسمع.

المهندس سامي الحصين..

من هو وماذا جرى له؟

* متزوج ولديه 3 أطفال.

* حاصل على شهادة البكالوريوس عام 1992 م من جامعة الملك سعود.

* حاصل على الماجستير من أمريكا 1997 م.

* عضو اللجنة الفنية في «الجمعية الإسلامية لشمال أمريكا IANA» التي تهدف إلى نشر برامج عن الإسلام عن طريق الإنترنت.

* تمت براءته من تهمة الإرهاب في 2004/6/10 م.

obeikandl.com

تلقى سامي عمر الحصين تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي في مدينة الرياض. حصل على درجة البكالوريوس في هندسة الحاسب الآلي من جامعة الملك سعود، أوفد إلى أمريكا لمدة ثلاث سنوات لغرض الحصول على درجة الماجستير من جامعة بول ستيت في ولاية إنديانا الأمريكية، فحصل على الدرجة خلال سنة ونصف بتقدير امتياز مما أهله للحصول على جائزة الأمير بندر بن سلطان، سفير خادم الحرمين الشريفين في الولايات المتحدة للتفوق العلمي. عاد إلى المملكة، ثم أرسل مجدداً لنيل درجة الدكتوراة في علوم الحاسب الآلي، من قسم علوم الحاسب في جامعة آيدهو، وخلال دراسته في جامعة آيدهو أنهى جميع مواده الدراسية بتقدير امتياز، كما عمل معيداً في القسم. كان في طور وضع اللمسات الأخيرة على أطروحته وذلك استعداداً لمناقشتها في نهاية مايو 2003 م الموافق لربيع الثاني 1424هـ.. رجل ذكي جداً.. متميز في مجال تخصصه (أمن الشبكات).. في تقديري إنه أحد الكفاءات الوطنية والعربية، التي سنخسرها لو سمحنا لهذا الظلم الواقع عليه، أن يمر.. ويمرر مخططاته..!!

رجل كرس وقته لخدمة دينه وأمته.. أحسبه والله حسيبه، من الرجال القلائل، الذين عاشوا هَمَّ الأمة، وامتزجوا بآمالها وآلامها.. وعاش نهاره يفكر في واقعها، وأيقظ ليله يخطط لمستقبلها. وقد تحدث الدكتور محمد الحضيف عن سامي الحصين في إحدى الصحف السعودية، وهنا أنقل لكم ما ذكره الدكتور الحضيف عن

سامي في جريدة الوطن: ترجع الأسباب الرئيسة لاعتقال الطالب السعودي سامي عمر الحصين لإسهامه في تسجيل عدد من مواقع الإنترنت الإسلامية، على الرغم من عدم صلته بما في هذه المواقع من مواد أو آراء. واتضح أنه عندما يشك مكتب التحقيقات الأمريكي في أمر شخص ما ولا يملك القرائن الكافية، يبدأ بالبحث في قانونية إقامته في أمريكا، وهو ما حرصت عليه السلطات الأمريكية من خلال اتهامها للطالب السعودي سامي عمر الحصين بأنه يعمل على الرغم من أن تأشيرته للدراسة فقط. واعتبر مكتب التحقيقات أن تسجيل مواقع الإنترنت عمل غير مشروع، وأن ممارسته للعمل هي بهدف الربح، وأنه انتهاك من الطالب لتأشيرة الدراسة.. إلى آخر الاتهامات التي تسجل عندما تفقد السلطات الدلائل على اتهاماتها. ويقول الاتهام الموجه إلى الحصين إنه طوَّر مواقع إنترنت، وهي مواقع من النظرة الأمريكية تدعم الإرهاب. وقالت مصادر مطلعة إن أحد المواقع التي ورد اسمها في الاتهام الموجه للحصين سمى في أحد موضوعاته أحداث 11 سبتمبر بـ «غزوة مانهاتن»، مما اعتبرته السلطات الأمريكية تشجيعاً على الإرهاب. وعلى الرغم من أن الحصين لم يكن مسؤولاً عن مواد هذه المواقع، وإنما مساعداً في تسجيلها، إلا أن السلطات اعتبرت ذلك دعماً للإرهاب كما أن كثيراً من هذه المواقع تكتب في صفحتها الرئيسة أن المواد المنشورة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الموقع.

ومن هذه المواقع التي ورد ذكرها في الاتهام موقعان للشيخ سفر «الحوالي»، وموقع باللغة الإنكليزية باسم «لواء الهجرة»، وموقع عربي

آخر باسم «مجلة العصر»، إضافة لمواقع «الموارد»، و«العصر دوت نت» و«الإسلام على الهواء ـ لايف إسلام». وقد عدّ مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي هذه المواقع تحرض على الإرهاب، مستشهداً بمقطع من إحدى المقالات المنشورة في موقع «العصر» بعنوان: «العمليات الاستشهادية».. نشر في شهر 6 عام 2001، أي: قبل أشهر من أحداث 11 سبتمبر. وتضمنت المقالة «أن العمليات الاستشهادية في هذا العصر قد تشمل تفجير طائرة على موقع مهم مما يسبب للعدو خسائر فادحة»، كما عدّ مكتب التحقيقات أن هذه المواقع قد أسست لصالح إحدى الشركات السعودية «دار العصر» أو بالتعاون معها. وفي الواقع إنه لو لم يثبت عليه تهمة مخالفة شروط الإقامة لوجدوا عليه مخالفات مرورية غير مسددة أو إزعاج الجيران، أو حتى لفقوا له تهمة. فالمواقع المناهضة لواشنطن من وجهة نظرهم كثيرة ومتجددة ومزعجة والهدف هو إسكات هذه المواقع.

وقد نشرت قصة السيدة مها وزوجها سامي في أكثر من موقع، وفي أكثر من صحيفة، وقد قرأت مقالة نشرتها صحيفة الحياة اللندنية في العدد (12/5) كتبها الدكتور أحمد بن راشد بن سعيد ـ أستاذ في جامعة الملك سعود ـ وحين فرغت منها أحسست أن كماً من الظلم قد وقع على الأخ سامي وعائلته الكريمة، ذلك الظلم الذي يعاني منه في الولايات المتحدة الشباب العربي الوفي لأمته ودينه وبعض الشباب السعودي بشكل خاص. علمت أيضاً كيف أهدرت حقوق الإنسان وضمانات العدالة في ذلك البلد الذي كان يضرب به المثل في هذه وتلك.

ومن هذا المنطلق أحببت أن أورد هذه القصة التي أرى فيها كل أنواع الظلم وجميع خروقات الحقوق الإنسانية التي ما زالوا يتشدقون بها.

وقائع القصة:

اختطف سامي الحصين من بين أسرته، وتعرّض لأنواع التعذيب والاضطهاد والضغط النفسي كافة، وموورست بحقه صنوف من الظلم بحجج واهية بعيدة عن المنطق والحقيقة، وأعلن القضاة أكثر من مرة هشاشة وضعف الأدلة التي يستند إليها الادعاء العام والأجهزة الأمنية، لكن ذلك لم يمنع الادعاء من الإصرار والمكابرة على التهم الزائفة من خلال فبركة المزيد منها.

ولم تسلم عائلة الرجل من الابتلاء والمضايقة والاضطهاد، وتم اغتيال الحقوق المكفولة للمتهمين كافة، ولم تتوقف عملية الضغوط والاضطهاد ضده حتى وهو في غياهب السجون، كما لم تشفع له سيرته المتميزة في التحصيل العلمي المبدع، وفي الخلق الرفيع في التعامل مع الحي الذي يسكن فيه، ولم تنفع شهادات أساتذته وزملائه وأقرانه في استقامته واعتداله.. لم يفلح كل ذلك مع الزمرة التي أعمى الحقد والتطرف بصيرتها المتبقية، وأصروا على ظلم الرجل واضطهاده بلا ذنب يذكر سوى أنه مسلم.. ملتزم.. مبدع.. معتدل، وربما يصيب هذا الأنموذج المتميز الذي يمثله سامي الحصين متطرفي الإدارة الأمريكية بالغيظ والحنق والغضب!

وفي الحقيقة فإن القصة تثير في كل من يقرأها أو يسمعها مشاعر الغيرة والغبطة في آنٍ واحد.. فإذا كان وراء كل رجل عظيم امرأة، فإن ذلك هو واقع الحال لقصة الأخ سامي.. فالمرأة نصف المجتمع أو أكثر من النصف، والمرأة هي الأم والزوجة والابنة والأخت والقريبة.. بل هي المربية والمعلمة والحاضنة.. وهي مخرجة الرجال، مربية الأبطال، معلمة النساء، هي منشئة القادة والعلماء والدعاة، خلقها الله سبحانه من آدم، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً**﴾ (النساء:1) ومن هنا كان علماء الإسلام يتناولون قضية المرأة من منطلقات يقينية قررها القرآن الكريم، من منطلق الأحكام المتعلقة بها، أو من منطلق حقوقها أماً، وأختاً، وزوجة، وبنتاً.. إلخ.

أما في الأزمنة المتأخرة، فقد توسع الحديث عن المرأة من جوانب أخرى أهمها: أن قضيتها قضية عقيدة ومبدأ، فصرنا نسمع ونقرأ دعوات صريحة إلى أن تتحلل المرأة من أوامر ربها، وتعاليم دينها، وصار كثير من النساء يرفضن كل ما شرعه الله تعالى بدعوى التحرر والتقدم والتخلص من التأخر والرجعية والتقاليد البالية والموروثات القديمة. وبالتطرق لما جرى للمهندس السعودي سامي الحصين (34 عاماً)، وما فعلته زوجه السيدة مها (29 سنة) بعد أن قام عملاء المباحث الفيدرالية باختطاف الرجل من بين أسرته في الساعة الرابعة من فجر السادس والعشرين من شهر فبراير (شباط) 2003، فقد نقل عن الزوجة الصامدة والصابرة قولها: (أخذوا مني رفيق دربي إلى

حيث لا أعلم.. داهمني الحزن على فراقه والخوف عليه حتى مرضت، وتوجهت إلى الله بالدعاء أن يمنحني الرضا وأن يجعل عواقب أمورنا إلى خير، وقد استجاب الكريم فربط على قلبي وثبتني، فله الحمد وله الشكر). وقد أضاف الدكتور بن سعيد: «سرى خبر اعتقال سامي في مدينة موسكو.. وهي مدينة صغيرة تقع شمال ولاية آيداهو الأميركية، وتشتهر بجامعتها التي يدرس فيها سامي الدكتوراة في أمن الشبكات الحاسوبية.. موفداً من المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني بالسعودية. وقد كان تخرجه متوقعاً في آذار ـ مارس من عام 2004. تعاطف عدد كبير من الطلاب والأساتذة مع قضية سامي، لما يعرفونه من حسن خلق الشاب ووداعته ونشاطه، ويذكرون موقفه بُعيد أحداث الحادي عشر من سبتمبر حينما شارك في تظاهرة تندد بما حدث، وتبرع من دمه للمصابين.

وما زاد تعاطف الجامعة مع سامي تهافت الاتهامات الموجهة إليه وضحالتها والتعسف الواضح في محاولة ربطه بما يوصف بالإرهاب. وفي ظل الحملة الشرسة على سامي لم تجد زوجه مها بداً من الوقوف أمام الإرهاب الذي تمارسه إدارة الرئيس جورج بوش بحق العرب والمسلمين، لا سيما أنها طالت هذه المرة شريك الحياة ورفيق الدرب.

تقول مها: إثر اعتقال سامي حدثت ضجة إعلامية كبيرة، وتوافد الصحفيون على بيتنا يتساءلون عن الأمر، فطفقت أحدثهم عن سامي الزوج والأب والطالب والإنسان، وقلت لهم: إن لسامي من اسمه نصيباً،

فقد تسامى عن كل رذيلة، وهو أهل لكل فضيلة، وما كان لرجل يحمل قلباً كبيراً كسامي أن يكون كما يقولون. «وليس كبير القوم من يحمل الحقد». لم يكن سهلاً على مها أن تقاوم بوش ورامسفيلد وآشكروفت وغيرهم من متطرفي الإدارة الأميركية.. لكن كان لا بد من التحرك، ومن العار أن تغضي الحرة على الضيم. قاومت مها ببسالة، وتحدثت للصحافة عن كل ما يؤكد براءة سامي. جمعت جاراتها الأميركيات وحثتهن على التحرك للمطالبة بالإفراج عنه، وكانت أبرز خطواتها أن نظمت حفلة عشاء كبيرة على مستوى مدينة موسكو، وأرسلت بطاقات دعوة للمسؤولين، كما وزعت بطاقات دعوة خاصة على سكان المجمع الذي تقيم فيه، ونشرت دعوة عامة في الصحافة والتلفاز، وقد حضر الحفلة قرابة مئتي مدعو. تحدث في الحفلة محامي حقوق الإنسان في جامعة آيداهو، والمشرف على برنامج سامي للدكتوراة، ومحاميه، والمهند الابن الأكبر لسامي. لكن مها كانت نجمة الحفل، إذ وقفت شامخة بنقابها ودافعت عن زوجها بلغة أدهشت الحاضرين، وبأداء بلاغي حرك المشاعر في مجتمع يقدس الخطابة ويعامل أصحابها معاملة القادة.. أعدت مها طاولة وضعت عليها نماذج لرسائل احتجاج جاهزة يقوم الحضور فقط بتوقيعها، ومن ثم يتم إرسالها إلى البيت الأبيض والكونغرس ومنظمات حقوق الإنسان.

وزعت على الحضور أيضاً عشرات الفانلات المحتوية على عبارات مطالبة بالإفراج عن سامي، وحثت الجميع على المشاركة في مسيرة احتجاج ضد بقاء سامي في السجن، وارتداء الفانلات أثناء المسيرة،

وبالفعل تم تنظيم مسيرة حاشدة رفعت فيها لافتات ظهرت عليها صور سامي وأطفاله.. وطبعت عليها عبارات مثل: «اعملوا على جمع شمل العائلة». وسار المتظاهرون حاملين الشموع، وتم تناول الحدث في الصحافة المحلية. تقول مها: «لم يكن هدفي هو الدفاع عن سامي وحشد التأييد لإطلاق سراحه فحسب، بل كنت أسعى أيضاً للتعريف بحقيقة الإسلام وتقديمه للناس بصورته الجلية الناصعة».. كم كانت عظيمة في غايتها! وكم كان هدفها أعلى هامة من تلك الناطحات للسحاب التي تعانق سماء نيويورك ومدن أمريكا المختلفة! عندما تقرر حضور أحد المسؤولين عن مكافحة ما يسمى بالإرهاب إلى المدينة ليلقي كلمة عن الأحداث، هرعت مها إلى محاميتها وطلبت منها صياغة خطاب باسمها موجه إلى جورج بوش ليتم إلقاؤه أمام هذا المسؤول. وتم إعداد الخطاب وألقته المحامية أمام الحضور الذين تجاوز عددهم 300 شخص. وتحدث أيضاً أبناء سامي: المهند، وتميم، وزياد مرددين عبارات قصيرة حول شوقهم وحنينهم إلى والدهم. وعندما بدأ العام الدراسي الجديد في أواخر أغسطس 2003، كتبت مها رسالة تهنئة للطلاب الجدد باسم سامي، ونشرته في صحيفة الجامعة، كما وضعته في لوحة الإعلانات في المكتبة العامة وفي الكليات. واستغلت عقد اجتماع عام للطلاب لمناقشة شؤونهم واحتياجاتهم، فذهبت إلى هذا الاجتماع (على الرغم من أنها لم تكن من المنتسبين إلى الجامعة)، وخاطبت الطلاب في شأن سامي قائلة:

إنه كان معهم قبل عام شعلة من نشاط، وهو الآن يقبع في زنزانة انفرادية دون محاكمة ولا ذنب جناه. وامتد نشاط مها إلى استراحة الطلاب، حيث وضعت طاولة خاصة بالقضية، تتوسطها لافتة كتب عليها «سامي يحتاج إلى دعمك» وبجانبها صورة لأطفالها.

تذهب مها إلى هذا المكان كل أربعاء وتمكث فيه ساعتين على الأقل، توزع مطويات عن القضية، وتجمع أكبر عدد ممكن من توقيعات الطلاب على نماذج الاحتجاج. تراسل مها عشرات الصحفيين وناشطي حقوق الإنسان في أميركا الشمالية وأوروبا، وتحثهم على تبني قضية سامي، في الوقت الذي تقوم فيه بتزويد موقعwww.samiomar.com الذي أنشأه أصدقاء سامي بالمعلومات والصور. وامتد نشاط مها إلى كل الولايات، فتناولت القضية وتداعياتها في برنامج بثته شبكة إذاعية على مستوى البلاد. أصبح منزل (سامي/ مها) مقصداً لمراسلي الصحف ومحطات التلفاز والجيران المتضامنين. تقول مها: إن جيرانها «يشعرون بالعار من الذي حدث لها ولأسرتها». أثمرت جهود مها.. فالرسائل المتعاطفة تنهال على بيتها من كل أنحاء الولايات المتحدة، وهي تقول: إنها لا تستطيع إحصاء البطاقات المعبرة عن الدعم والمساندة التي تتدفق على عنوانها.. تذكر مها وأطفالها أنهم ذات صباح وجدوا كيساً عند باب بيتهم فيه ثلاث قصاصات مكتوب فيها عبارات تضامن مثل «قلوبنا معكم».

معاناة الزوج:

ضاق رجال المباحث الأميركية ذرعاً بنشاط مها وحاولوا إرهابها عبر مباغتاتهم المتكررة لبيتها، لكن ذلك لم يوهن عزيمتها.. وأخيراً قبضوا عليها وخيروها بين المحاكمة أو الرحيل الفوري عن البلاد، وأمهلوها خمس دقائق لاتخاذ القرار، اضطرت للقبول بالمحاكمة، فنشرت بعض الصحف مقالات تشيد بمها وبنزاهتها، وردت الحكومة ببيانات صحفية تتهم مها بكراهية أميركا، واستندت في ذلك إلى مكالمات هاتفية مسجلة لها.. بيد أن ترجمة هذه المكالمات كانت سيئة ومليئة بالتحامل وسوء النية.

كان رأي المباحث الاتحادية أن السيدة مها امرأة ذات ميول إرهابية في الأصل. ولذا اختارت سامي زوجاً. عقدت المحاكمة وحكم على مها وطفلين من أطفالها بالرحيل عن الولايات المتحدة في مدة أقصاها أربعة أشهر، أما الطفل الأصغر فيمكن له البقاء، نظراً لأنه ولد في أميركا ويحمل جنسيتها. تذهب مها كل نهاية أسبوع لزيارة زوجها في سجنه في مدينة بويزي التي تبعد نحو 800 كلم جنوبي موسكو (مدة الزيارة نصف ساعة)، ويسمح لهما باللقاء عبر نافذة زجاجية صغيرة لا يتجاوز طولها ثلاثين سنتيمتراً، وتتحدث معه عبر الهاتف.. لكنها في كل مرة تهمس لزوجها بعبارات تشد من أزره وتخفف لوعته. قاومت مها كل الضغوط الرهيبة التي مورست عليها، وبذلت المستحيل لإنقاذ شريك حياتها من براثن (العدالة الأميركية). عشرة أشهر مرت تغيرت خلالها حياة مها.. أصبحت محامية وصحافية وخطيبة وناشطة حقوق إنسان. أصبحت لأولادها أماً وأباً. مها لا تقود السيارة؛ لأن نظام

آيداهو يمنع القيادة بالنقاب. لذا تقضي شؤونها مشياً على الأقدام، فتقول: «أصطحب أطفالي معي إلى كل مكان، وعندما أوصل أولادي إلى المدرسة أقضي ساعات النهار خارج البيت. لم أدع طريقاً لدعم قضية سامي إلا وسلكته.. لا يهم إن كان الجو ماطراً أم ساخناً أم بارداً.. المعاناة كبيرة، لكن طيف أبي مهند يراودني ويسري عني ويخفف ما يصيبني من الأذى». مها تحزم أمتعتها للعودة إلى الوطن، فلم يعد في القوس منزع لمزيد من المقاومة، وإن كان في الصدر متسع من إرادة صلبة وعزيمة لا تلين. تقول: «يتساءل الأطفال: هل نسافر ونترك بابا هنا؟». تكفكف مها دمعة ساخنة وتتمتم بالدعاء: «أسأل الله الذي رد موسى إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن، ورد يوسف بعد طول غياب إلى يعقوب، أن يرد إلينا سامي إن ربي لطيف بمن يشاء. ما زلت في انتظار وعد الله باليسر بعد العسر، ومن أوفى بعهده من الله، والله خير حافظ، وهو أرحم الراحمين».

وقد ذكر الدكتور بن سعيد أن قضية سامي شاهد حي على المأزق الأخلاقي والسياسي الذي تتخبط فيه أميركا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وهي أيضاً شاهد على هشاشة الديمقراطية الأميركية التي لم تصمد في أول امتحان حقيقي لها، فضحت بقيمها ومؤسساتها وشعاراتها أمام قربان التعصب، زاجة بمئات المسلمين خلف القضبان بتهم أكثرها ملفقة ومصطنعة، وأقامت معسكرات اعتقال جماعية خارج حدودها. لكن قضية سامي هي أيضاً قضية أمة يراد لها أن تبقى رهينة سجن كبير، وعنواناً لحضارة جميلة متسامحة تنفض عنها الغبار وتتهيأ للانبعاث من تحت الركام.

والمتابع لأنشطة الطلبة السعوديين في أمريكا منذ بداية موجة الإيفاد في الستينيات يعرف أن جزءاً كبيراً من الطلبة مارسوا أنشطة لا صفية أو لا منهجية مثل الأنشطة في المراكز الإسلامية والنوادي السعودية، بما في ذلك نشر المواقع وجمع الأموال للمراكز الإسلامية. ولم يعتبر ذلك قط مخالفة لشروط الإقامة في أمريكا، ولكن في الآونة الأخيرة بدت هذه الأمور محرمة أو ممنوعاً القيام بها، أو حتى بربعها. وسؤالي هنا... لماذا نسكت نحن على هذه الأفعال؟ هل تعلمنا أن نصمت حين نداس أو نظلم؟ لماذا يعلو صياحنا وصراخنا عندما يُمس المُعاهد في أرضنا... ونقف متفرجين عندما نهان كقطيع الأغنام هناك؟! لماذا نكون نحن الأذل ضمن سلسلة الأفعال المتطرفة؟ كل هذه أسئلة تدور في خاطر كل من يعيش أو يسمع مثل هذه القصة.

جهود السفارة السعودية:

وبالعودة إلى المعتقلين العرب والمسلمين في السجون الأمريكية على خلفية أحداث 11 سبتمبر، نجد أن السلطات الأمريكية مازالت تتحفظ على أعداد من المعتقلين في سجونها، كما أن موجة الاعتقالات مازالت مستمرة حتى الآن، وقد شملت العديد من الطلبة الخليجين والعرب والمسلمين. ويمكننا أن نقول: إن عدد المعتقلين العرب بلغ ما يقارب 2000 معتقل. وقد قامت السفارة السعودية بواشنطن بتعيين محامين لرعاياها، فعند علم السفارة بتعرض أحد الطلبة السعوديين للاعتقال، تسارع بتعيين محامٍ خاص لهذا الطالب وتتولى الدفاع عن قضيته.

ونحن إذ نذكر دور السفارة السعودية في واشنطن، وما قامت به تجاه مواطنيها وطلابها من متابعة كل قضاياهم، وتسهيل أمور عودتهم إذا رغبوا مع توجيههم، وإبلاغ الطلبة بكل المستجدات والقوانين التي سنت؛ لكي يبقى الطلاب على علم ودراية بكل المستجدات، فإننا نتوجه بالشكر الجزيل لكل العاملين في السفارة وعلى رأسهم صاحب السمو الملكي الأمير بندر بن سلطان سفير خادم الحرمين الشريفين لدى واشنطن. ومن بين الحالات التي أتذكرها وقد قرأنا عنها في أمريكا وما قامت السفارة بدورها تجاههم، كانت حالة الموفد السعودي (ز. ق) الذي كان قد أنهى لتوه مرحلة الماجستير وتعرض هو وزوجه للاعتقال، وكان ذلك الطالب ـ حسبما عرف عنه من حسن الخلق وبعده عن كل الأمور التي تستدعي اعتقاله ـ قد عانى وزوجه في أثناء الاحتجاز من سوء المعاملة ومُنعوا من أدنى حقوقهم. وقد أطلق سراحهما بعد مدة احتجاز لا داعي لها، وما كانت تصل بأي حال للسجن. وكان هناك الكثير من الحالات التي اعتقل أصحابها بسبب انتهاء مدة صلاحية التأشيرة المعطاة لهم أو لعدم تجديد الإقامة وقد انتهت بهم إلى التحقيقات مع الـ «إف بي آي»، مما جعل مدة اعتقالهم تمتد من أيام إلى أشهر، وهناك طلبة لم يُفرج عنهم حتى الآن!

وأذكر أنه تم اعتقال بعض الطلبة الخليجيين والعرب أيضاً في مدينة كاربنديل لأسباب تافهة، ومنها العمل أو انتهاء التأشيرة، الأمر الذي أودى بهم إلى معتقلات تمتلئ بالمجرمين، حيث يعاملون معاملة

سيئة جداً إلى أن يتم إخراجهم بكفالة باهظة جداً لم يتمكن أغلبهم من دفعها إلا بعد أن قام باقتراضها، وخرجوا بالكفالة إلى حين موعد محاكمتهم، وصدر أمر المحكمة بإخراجهم من أمريكا، وضياع سنوات الدراسة التي قضوها خلال مدة وجودهم هناك.

ولعله من المؤسف أن يكون بعض الطلبة السعوديين أو العرب المعتقلين بعد أحداث 11 سبتمبر، قد عاشوا ظروفاً صعبة في سجونهم، فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية تمثل الأنموذج الأروع في احترام الحريات الفردية والشخصية ومنع الآخرين من المساس بها، إلا في حدود ضيقة جداً وبشروط بالغة الدقة، ثم جاءت أحداث 11 سبتمبر لتقوم أمريكا بسنّ قانون الطوارئ، ذلك القانون الذي صعق به الأمريكان قبل أي شخص آخر، فقد استبيحت الحريات، وأهينت المثل والنظريات والقوانين، وأصبح أمر المرء في يد رجل شرطة قد لا يعجبه شكلك، أو يحمل من الحقد الدفين ما يسمح له بأن يقوم بالقبض عليك ويودعك السجن.. ليس لشيء إلا لأنه بكل بساطة يشتبه بك. وأذكر أنه في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك خرجت من بيتي عند الساعة الثانية صباحاً لأداء صلاة القيام في المسجد، وفي الطريق تم إيقافي من قبل إحدى السيارات التي كانت تتبعني، وكانوا في أغلب الأحيان يقومون بالتخفي أو إطفاء كل ما يشير إلى أنها سيارة شرطة، وكانت السيارة عادية أو بدت كذلك.. ولا سيما أن الظلام كان دامساً.. وبعد ثوانٍ قام قائدها بتشغيل كل الأنوار.. وعندما انتبهت إلى ذلك أوقفت السيارة وانتظرته إلى أن قدم إلي، عندها بادرني بطلب رخصة السيارة والقيادة وبطاقة التأمين،

للتأكد من صحة البيانات، كنت خلال هذه المدة أدعو الله أن يكفيني شره بما شاء، ثم عاد وسألني: إلى أين أنت ذاهب؟ أجبته بأني ذاهب للصلاة في المسجد، عندها تبسم وقال: صلاة الآن؟ قلت له: لماذا تتبسم ألا تصدقني؟ قال: لا ولكنه أمر غريب. عندها أعاد إليَّ الأوراق والبطاقات وتوجهت بالشكر له وذهبت إلى المسجد، إلا أنه تبعني إلى أن تأكد من دخولي المركز الإسلامي.

اغتيال حلم:

كان أحد الإخوة السعوديين قد تخرج في الثانوية العامة في بداية الثمانينيات، وفضل بعدها التوجه إلى ميدان العمل، فعمل في أحد المصارف، واستمر في عمله وثابر بكل جد وإخلاص إلى أن وصل إلى مراكز مرموقة في ذلك المصرف. ومع منتصف التسعينيات تغيرت بعض الأمور، ووجد الرجل أن الأمر يحتاج إلى مواصلة التعليم ونيل الدرجة الجامعية. أخذ ذلك الأمر منه وقتاً وجهداً كبيرين للوصول إلى قرار حاسم وجوهري بإيقاف مسيرة العمل والذهاب إلى إكمال دراسته الجامعية ومرحلة الدراسات العليا. عقد أمره وقرر الذهاب لمواصلة دراسته في أمريكا. حصل على قبول من جامعة جنوب إلينوي بكاربنديل.. كان ذلك في عام 2000. وكان قراره بالذهاب إلى أمريكا للدراسة على حسابه الخاص مغامرة منه، إذ لم يكن في المرحلة العمرية التي قد تؤهله لذلك.. لقد كان حينها في الأربعينيات (31 سنة).. متزوجاً.. ولكن حرصه ورغبته في التحصيل العلمي كانت هي الدافع الجارف وراء سفره.

ذهب الرجل وانتظم في الدراسة.. كان من المتفوقين.. وكان يحلم بالالتحاق بالبعثة عن طريق الملحق الثقافي وسفارة خادم الحرمين الشريفين في واشنطن. فكل الشروط كانت تنطبق عليه. ووقعت أحداث سبتمبر واستمر في تفوقه الدراسي، حيث كان تخصصه في نظم المعلومات الإدارية (MIS)، وكانت أموره المالية أيضاً ميسرة، وتأشيرته مازالت سارية المفعول وكذلك الـ I-20.

وفي صيف 2002 جاءت الموافقة على انضمامه للبعثة (موافقة الملحق الثقافي بأن تكون بعثته على نفقة الحكومة).. كان كما ذكرت يستحق ذلك منذ مدة، ولكن هكذا هو النظام. عندها قرر العودة للوطن خلال الإجازة الصيفية ليسلِّم على والدته التي كان متعلقاً بها كثيراً، حيث كان طوال الوقت يردد الدعاء لها بطلب الشفاء والمغفرة، وكذلك لتجديد التأشيرة التي انتهى سريان مفعولها. لقد كان أنموذجاً من الشباب الحريصين على أن تكون أمورهم نظامية ووفقاً للقانون. وفور وصوله إلى السعودية قام بتقديم طلب تجديد التأشيرة إلى السفارة الأمريكية. وكما هو معروف أو معتاد لديهم في الآونة الأخيرة، فإنهم يطلبون من المتقدم أن تتم مقابلته ثم يعدونه بالاتصال به. انتظر كثيراً حتى وصل به الأمر إلى ستة أشهر، وكان قد اتصل بأحد الإخوة في كاربنديل وطلب منه أن يستمر في حجز الشقة التي كان يسكن فيها مع دفع الإيجار الشهري. وعندما طال به الأمر طلب منا أن نضع أثاثه في مخزن وأن نسلم الشقة. عندها قمنا بحفظ أثاثه وتسليم الشقة. وبعد ثمانية أشهر تقريباً تقدم بطلب جديد

للحصول على التأشيرة، وانتظر بعدها مدة ثلاثة أشهرتقريباً، حتى اتصلوا به، وطلبوا منه إحضار جوازه لكي يمنح التأشيرة. حصل على التأشيرة وعاد إلى الجامعة.. عاد للجري لكي يعوض السنة التي ضاعت منه (2003) أو بالأحرى التي ضيعوها عليه. ومن الجدير بالذكر أنه تم تجديد التأشيرة حسب المدة المتبعة (سنتين)، حاول خلال 2004 أن ينجز أكبر قدر ممكن من الساعات الدراسية. ومع صيف 2004 قرر أن يعود للاطمئنان على والدته التي كانت مريضة (فقد سبق أن قرر عدم السفر لدى حصوله على التأشيرة في العام السابق لمرض والدته)، إلا أن والدته أصرت على سفره. عاد وكله ثقة.. فأموره الإجرائية سليمة، ومع انتهاء مدة الإجازة ذهب للمطار بعد أن قام بوداع والدته للعودة لإكمال دراسته.. إلا أنه تم استدعاؤه من الطائرة وإخباره بإلغاء تأشيرته دون إبداء أسباب معينة، فما كان منه إلا أن ذكر لهم أنه كان من الأجدى أن يقوموا بإخباره قبل موعد سفره بمدة، وليس بعد صعوده الطائرة. هكذا تم اغتيال حلم رجل، وهكذا تم تحطيم مستقبل رجل سعى لكي يكون في الصدارة دون ذنب له سوى أنه كان طالب علم. ولا يزال ينتظر حتى هذه اللحظة (يناير 2006 م) أن يحصل على التأشيرة يوماً ما. ما الذي اقترفه؟ لقد كانت أموره سليمة، وكان أشدنا حرصاً على تطبيق الأنظمة. وعلى حد علمي.. لم يرتكب مخالفة مرورية.. كان واضحاً.. متفوقاً.. ذا خلق عالٍ.. لم يكن له أي نشاطات مشبوهة، لقد اغتيل حلمه وسرق ماضيه، فقد بدأ الدراسة على حسابه الخاص، وكانت تلك المبالغ هي حصيلة سنين من العمل الجاد.. ولكنهم اغتالوا طموحه وأحلامه.

قتل الطموح:

تم إيفاد أحد الإخوة السعوديين لإكمال دراسته العليا التي كان يحلم بها. بعد أن حصل على قبول بإحدى الجامعات الأمريكية. غادر السعودية مصطحباً عائلته متوجهاً إلى أمريكا، التحق بالدراسة في بداية 2001 بمركز اللغة، واجتاز مرحلة اللغة وبدأ الدراسة. ومع انطلاقة الفصل الدراسي الأول 2001 وقعت أحداث سبتمبر، وقرر مجموعة من الشباب العودة إلى السعودية مع عائلاتهم في ظل ثورة تلك الأحداث وتتابع القرارات التي ضيقت علينا الخناق، مما جعل من أمر البقاء بأمريكا كما أسلفنا أمراً غاية في الصعوبة والمجازفة. إلا أن أخانا عاد للجامعة وتوالت الفصول الدراسية وهو يعمل بجد سعياً لأن ينجز الدراسة في وقت قصير ويعود إلى وطنه. وفي خلال تلك المدة انتهت تأشيرة إقامته، ومع نهاية مايو 2004 أنهى متطلبات الماجستير وناقش بحثه.. كان متفوقاً كعادته. حصل على قبول لبرنامج الدكتوراة، عندها قرر قضاء الإجازة مع الأهل في وطنه، وفور وصوله إلى السعودية توجه إلى السفارة الأمريكية بالرياض بطلب الحصول على تأشيرة الدخول، تخوفاً من أن تأخذ وقتاً طويلاً أكثر من مدة الإجازة. وفي الوقت نفسه كنا على اتصال به لمتابعة الوضع ولمعرفة الإجراءات، وهل ثمة إجراءات أو طلبات جديدة من قبل السفارة؟ المهم.. أنه حصل على التأشيرة بعد مدة شهرين تقريباً.

وكنت في تلك الأيام أتأهب للعودة للإجازة الصيفية، وسرني خبر حصوله على التأشيرة، فقلت لنفسي لعل الأمور قد تسهلت، فعدت للوطن في منتصف شهر أغسطس 2004، وعاد هو لإكمال دراسته.

وعندما وصل إلى نيويورك تم استدعاؤه من قبل موظفي الجوازات، وأبقوه أربعاً وعشرين ساعة، ثم أبلغوه بعدم استطاعتهم السماح له بالدخول إلى أمريكا! «لقد ألغينا تأشيرتك وعليك العودة على الطائرة نفسها».. عاد إلى الوطن وهو ينعم بصحة وعافية، ولكنه حرم من إكمال دراسته العليا.

الإصرار والتحدي:

وهناك مجموعة كبيرة من الطلاب السعوديين حرموا من إكمال دراستهم بسبب عدم تمكنهم من الحصول على تأشيرات العودة إلى أمريكا.. منهم من حصل على الماجستير وعاد إلى السعودية لتجديد التأشيرة حتى تكون إقامتهم نظامية، إلا أنهم لم يتمكنوا من الحصول عليها، أو أن طلباتهم علقت لسنين عدة، أو منحوا التأشيرة ثم ألغيت فور حصولهم عليها، أو أعيدوا من أمريكا لأسباب غير مبررة. وما أنا إلا أحد أولئك الطلاب الذين حرموا من العودة، ومنها انطلقت في كتابة هذه الأوراق.

ومن القصص التي قدر الله أن تكون نهايتها جميلة، قصة أحد الطلبة من جملة الطلاب الموفدين في صيف 2003، عاد مع أحد زملائه في الجامعة بالسعودية، وتقدم بطلب الحصول على التأشيرة إلا أنه لم يتمكن من الحصول عليها، على الرغم من أنه كان قد أنجز كل المواد الدراسية في مرحلة الدكتوراة، بينما كان زميله الآخر طالب دكتوراة.. لم يكن قد بدأ البرنامج بعد. ولحسن حظه فقد أنهى

obeikandl.com

متطلبات الشهادة ولم يبقَ له سوى الانتهاء من البحث. وكان طيلة تلك السنوات التي أمضاها بالسعودية على اتصال مع مشرفه الدراسي، إذ تمكن من خلال هذه الاتصالات من إنهاء البحث. ولحسن حظه.. فقد تمكن من الحصول على الموافقة من جامعته السعودية، وموافقة لجنة المناقشة، بأن يقوم بمناقشة الرسالة عن طريق الفيديو كنفرس. وبالفعل.. حصل على الدرجة قبل أسابيع ماضية. أما زميله الآخر فقد أوقفت بعثته واستقال من عمله لعدم حصوله على التأشيرة، ولم يتمكن بالتالي من إكمال دراسته.

مع سبق الإصرار والترصد

وقصتنا التالية بها من التناقضات ومن الغرائب ما يشيب له الرأس.. بها من ممارسة الظلم ما ينفي تلك الحقوق المدنية التي يتشدقون بها.. ما يطمس كل الحريات التي يدعونها.. قصة قد لا يكون لها علاقة مباشرة بأحداث سبتمبر. ولكن هي من تداعيات تلك الأحداث، أو لنقل هي من إفرازات تلك الأحقاد التي يضمرونها لكل من هو مسلم ولا سيما السعودي. حدثت هذه القصة في أواخر 2004 لأحد الشباب السعوديين الموفدين للدراسة. وقبل سرد تلك القصة دعونا نتعرف على ذلك الشاب. بطل هذه القصة هو الأستاذ/ حميدان بن علي التركي ـ 36 عاماً ـ طالب دكتوراة بجامعة دنفر، وموفد من قِبل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ـ

بقسم اللغة الإنكليزية، لتحضير الدراسات العليا في الصوتيات.. حصل على الماجستير بامتياز مع درجة الشرف الأولى من جامعة دنفر بولاية كلورادو في الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد نشر بيان في جريدة الرياض السعودية في 2005/6/30 م، من قبل عائلة الأستاذ حميدان في السعودية يتضمن ملابسات وظروف قصة اعتقاله.

ذكر البيان أنه تم اعتقاله هو وزوجه للمرة الأولى في نوفمبر 2004، بتهمة مخالفة أنظمة الإقامة والهجرة. لم يكن الاعتقال من قبل سلطات الهجرة فقط، بل كان معهم أعضاء من مكتب التحقيقات الفدرالي .F.B.I وكانت طريقة اعتقالهما كأنهما إرهابيان أو مجرمان خطيران، حيث تقدمت مجموعة مكونة من 30 شخصاً من مكتب التحقيقات الفيدرالية، واقتحموا البيت بطريقة توحي بأن ثمة خطراً كبيراً يهدد الأمن، وبادروا بتوجيه السلاح إلى رأس زوجه، وطلبوا منها إخبارهم عن مكان سلاح زوجها (مع علمهم بأنه ليس لديه أي أسلحة) واعتقلا، واقتيدا إلى قسم الشرطة. كما اعتقلت خادمتهما الإندونيسية للمشكلة نفسها وتم استجوابها بخصوص تعامل العائلة معها، فأفادت بأن تعاملهم كان طيباً للغاية، وأفادت بأنها تشعر «كما لو كانت واحدة منهم».

وأطلق سراح الزوجين بكفالة قدرها 25.000 دولار (93750 ريال سعودي)، وواصلت السلطات الأمريكية التحقيقات مع الخادمة وبنفس طويل، فقد تم سؤالها عمّا إذا كانت تعرضت لأي تحرشات جنسية

فأفادت بالنفي القاطع، وقد ثبتت أقوالها لدى السلطات الأمريكية كافة، إلا أن السلطات الأمريكية تحفظت على الخادمة منذ ذلك الوقت حتى تاريخ كتابة هذا البيان، لمحاولة تغيير أقوالها، والتأثير فيها للوشاية بالأخ حميدان، ولأسباب تدعو إلى التمعن في أبعادها المحتملة، ولا سيما أنه لم يثبت عليه أي مخالفة؟!

وفي الثاني من يونيو 2005، تم اعتقال الزوجين مرة أخرى، ووجهت إليهما تهمة إساءة التعامل مع الخادمة واحتجازها في منزلهم واحتجاز أوراقها الثبوتية وتعرضها لتحرش جنسي! في مناقضة لكل الاعترافات التي أدلت بها مسبقاً، مما يعني قطعاً أن الخادمة قد تعرضت لما دفعها إلى تغيير أقوالها بشكل دراماتيكي. وهنا نتساءل عن سر احتجاز السلطات الأمريكية للخادمة طيلة هذه المدة.

قد يكون مهماً التنبيه إلى بعض القضايا المتعلقة بالخادمة الإندونيسية لكي يتضح للجميع هشاشة الدعوى المقامة ضد الأستاذ حميدان التركي.. فالخادمة لا تتحدث الإنكليزية ولا تكتبها، ولذا فقد طلبت من أسرة التركي الاحتفاظ بأوراقها الثبوتية مع أوراقهم مثل أي عائلة أخرى، وقد تصرفت كما لو كانت عضواً في العائلة، وكانت كذلك بالفعل. وفي هذا الاتجاه طلبت منهم حفظ رواتبها لأنها لا تحتاج إليها حيث إنها تسكن معهم، وتأكل وتشرب معهم، وتقوم الأسرة بشراء الملابس لها وجميع ما تحتاجه، حالها في ذلك حال غالبية العائلات في المملكة العربية السعودية، حيث يحفظون رواتب خادماتهم لحين طلبها لتحويلها لبلادهم في أوقات تختارها الخادمات أو عند السفر النهائي.

وثمة شيء آخر نشير إليه، وهو أن الخادمة تعاني من الإرهاب الاجتماعي والثقافي من المجتمع الأمريكي مما جعلها لا تخرج إلا بصحبة العائلة. وهنا نعيد السؤال بإلحاح: ما الذي جعلها تغير أقوالها وتقلب الحقائق خلال مدة احتجاز السلطات الأمريكية لها؟

لعل المتأمل يدرك أن الحكومة الأمريكية تبدي حرصاً متزايداً على تحسين الصورة الذهنية لأمريكا لدى الدول العربية والإسلامية، وهذا شيء نثمنه كما يقدره الآخرون، ولكن الحقيقة المرة تعكس لنا ولغيرنا أن ثمة جهوداً تبذل من قبل بعض الأطراف الأمريكية في الاتجاه المعاكس، على غرار بعض موظفي مكتب التحقيقات الفيدرالي، حيث يسعون جاهدين وبحماس مفرط أحياناً لتشويه تلك الصورة الذهنية والإساءة للعلاقات المتميزة، مما جعل الكثير من العرب والمسلمين والسعوديين على وجه التحديد يفكرون أكثر من مرة عند شروعهم في التفكير في الدراسة أو العمل في أمريكا، أو حتى الزيارة السياحية لكي لا يتعرضوا للاعتقال والإهانة، وربما توجيه التهم المختلقة لهم، ومن ثم تشويه سمعتهم في الإعلام الأمريكي!! وفي السياق نفسه طلبت السلطات الأمريكية كفالة مالية باهظة جداً مقابل إطلاق سراح حميدان وزوجه تجاوزت نصف المليون دولار أمريكي (حميدان 400.000 دولار وزوجه 150.000 دولار) ـ وهنا نشم رائحة الابتزاز والمساومة.

كما قامت السلطات بإحضار زوج حميدان للمحكمة دون السماح لها بوضع غطاء وجهها، أو وضع حجاب يغطي شعرها، في امتهان بغيض لقيم الإسلام وعنصرية مقيتة ضد العرب والمسلمين، وانتهاك

لمبادئ الديمقراطية الغربية ذاتها، تلك التي يقولون إنها تضمن للإنسان حقه المطلق في الاختيارات الشخصية، فعلام تدل تلك المشاهد، بدءاً من طلب الكفالة الباهظة إلى عدم احترام حريتها في ارتداء حجابها؟

السلطات الأمريكية هي وحدها فقط من تملك القدرة على الإجابة عن تلك التساؤلات التي لا تشغل الرأي العام السعودي وحده بل العربي والإسلامي أجمع. وأضحت القضية قضية رأي عام عالمي، طارت بها الصحف وغربت بها الفضائيات وشرقت بها الإنترنت!

وقد مكثت زوج حميدان في السجن 12 يوماً إلى أن قامت عائلة حميدان التركي بدفع مبلغ الكفالة المطلوب لإخراجها. وطوال تلك المدة بقي أولادهم الخمسة (أكبرهم في سن17) في المنزل دون رعاية ولا نفقة حيث جمدت أرصدتهم. ومما يبعث على الحزن والشفقة، والاستغراب الشديد أنه قد تم مضايقة كل من يحاول التقرب إلى الأولاد ومساعدتهم في ظرف فقدوا فيه أمهم وأباهم... فمن يتحمل مسؤولية ترويع عذوبة الطفولة وتكدير صفائها وخدش مشاعرها؟!

ونود التأكيد على أن أسرة حميدان لا تزال تعاني إثر فرض السلطات الأمريكية الإقامة الجبرية على زوج حميدان ومنعها من الخروج حتى لفناء بيتها! أما حميدان فلا يزال رهن الاعتقال، لعدم توفير المبلغ المطلوب لكفالته حتى هذه اللحظة.. انتهى بيان عائلة التركي.

وبناء عليه، فقد شكلت أسرته لجنة لمتابعة قضية ابنها المعتقل، وقد ترأس اجتماعات اللجنة شقيقه الطبيب أحمد التركي وعدد من القانونيين والإعلاميين وأصدقاء المعتقل إبان دراسته في أمريكا. ذكر شقيق المعتقل أحمد أن سبب اعتقال شقيقه من قبل السلطات الأمريكية هو اتهامه بإساءة معاملة خادمته الإندونيسية واختطافها وخطف جواز سفرها وتأشيرتها التي تخولها الدخول إلى الأراضي الأمريكية، كما ذكر أن شقيقه حميدان لديه دار للنشر تعنى بترجمة أمهات الكتب الإسلامية الموجهة فقط للمسلمين، وليس من نشاطات الدار ترجمة أو طباعة أي كتب تدعو إلى الدين الإسلامي.. فالكتب المترجمة جميعها كتب موجهة للمسلمين فقط. وحول وضع زوج شقيقه قال: إن القاضية طلبت من زوج أخي نزع الحجاب عندما حضرت إلى المحكمة، مما أثار حفيظة إخواننا المسلمين هناك وخرجوا من القاعة، وكانت القاضية تتعامل مع أم تركي بطريقة مستهجنة.. وفي نهاية الجلسة طلبت كفالة مالية تبلغ 15 ألف دولار (57 ألف ريال سعودي)، وهو السقف الأعلى للكفالة في الولاية. وتم وضعها تحت الإقامة الجبرية، كما تم منعها من الخروج لتوصيل أبنائها إلى المدارس، عدا واحد فقط مما يعني إيقاف دراسة بناتها الأربع وجلوسهن في المنزل. وفي تطور للقضية طلبت السلطات الأمريكية من زوج المعتقل الإدلاء بالشهادة ضد زوجها لكي تحصل مقابل ذلك على إسقاط التهم الموجهة إليها، وإطلاق سراحها وترحيلها إلى السعودية، مما قوبل من جهتها بالرفض القاطع لأي مساومات.

وبقراءة لتفاصيل القصة نلاحظ أن هناك مؤامرة لإبقاء المعتقل قيد الاعتقال، مع الابتزاز الدائم له ولعائلته ولدولته، ومحاولة توجيه الإهانة لشخص المعتقل ولعائلته وزوجه بشكل خاص للضغط عليها، كما توقعوا أنهم بتوجيه تلك الإهانات إلى زوج المعتقل وابتزازها، من شأنه إجبارها على التآمر على زوجها وإثبات التهم عليه، ليقينهم بعدم وجود قضية لديهم، وأنه سوف يأتي اليوم الذي يتم إطلاق سراح حميدان رغماً عنهم. وحتى يأتي ذلك اليوم فهم يحاولون ابتزاز زوجه لعلّ محاولتهم تسفر عن دليل يتم تلفيقه للمعتقل.

وقد سبق أن ذكرت أن السفير الأمريكي في السعودية، كان يظهر بين مدة وأخرى ليقول: إن إجراءات الحصول على التأشيرة قد تيسرت، ولكن من مفارقة القول أن يتزامن الإعلان عن عزم الحكومة الأميركية تقديم عدد كبير من المنح والتأشيرات الدراسية للطلبة السعوديين، مع تلك التهم والمشكلات التي بدأت تواجه الطلبة السعوديين الموفدين إلى أميركا. وكان آخرها اعتقال الطالب السعودي حميدان التركي الموفد لمواصلة دراساته العليا هناك.

وما قد يتبادر إلى الذهن أن تلك المنح هي تمييز من الحكومة الأمريكية للشباب السعودي، ولكن في حقيقة الأمر فإن الجامعات الأمريكية تعاني من هبوط حاد في عدد المنتسبين إليها، ولا سيما من الدول الإسلامية والعربية.. مما جعل أغلب مراكز اللغة في تلك الجامعات تضطر لإغلاق تلك المراكز، مع تسريح مدرسيها لعدم وجود العدد الكافي من الطلاب، فقامت الجامعات الأمريكية بالاحتجاج لدى

الكونغرس الأمريكي لما أصابها نتيجة ممارسات السفارات الأمريكية في الدول الإسلامية والعربية. ولعل أميركا مع كثرة ما تقدمه من منح، فإنها تخلق معها ألف مشكلة ومشكلة، وهذه سياسة أميركية تكاد تكون مطردة.

فبعد أن وعدت الحكومة الأميركية بالمنح الدراسية المجزية للطلاب السعوديين، قدمت بين يديها واحدة من أصعب القضايا التي أزعجت الشارع السعودي، وأعني بها قضية الطالب السعودي حميدان، بعد أن أخذت البروفة الأولى بالمحنة الشهيرة لطالب سعودي آخر، هو المهندس سامي الحصين. الأسلوب الفج الجلف واللاإنساني الذي مارسته المباحث الأميركية في طريقة اعتقال الطلاب السعوديين ولا سيما الطالب السعودي حميدان التركي، إنما يثير أكثر من علامة استفهام كبيرة حول بواعث الاعتقال ودوافعه. ويجعلنا نربط وبلا تردد بين طريقة الاعتقال المرعبة، وبين نشاط هذا الطالب السعودي المتميز في مجال خدمته لدينه، بامتلاكه دار نشر فاعلة ومؤثرة، بل ويجعلنا نستدعي ونتذكر قوائم الاتهام الطويلة المرعبة، التي وجهتها المباحث الفيدرالية الأميركية للطالب السعودي سامي الحصين، وكيف تساقطت عليه هذه التهم الواحدة تلو الأخرى.

لا لوم علينا ونحن نربط بين نشاط الطالب حميدان وطريقة اعتقاله المفزعة، وإلا فكيف نصدق أن تهمة إساءة معاملة خادمة منزلية كانت السبب في حشد فرقة أمنية مكونة من ثلاثين فرداً مدججين بالسلاح، اقتحمت بيت الطالب السعودي لاعتقاله واعتقال زوجه؟!!!

ولو حاولنا أن نتصفح التاريخ الأمريكي باحثين عن حادثة واحدة على الساحة الأميركية، قديماً أم حديثاً، تشبه هذه الحادثة في تفاصيلها.. لما وجدنا. ولذلك سنظل نتذكر أن فرقة من قوات الأمن الأميركية مدججة بالسلاح، قد اقتحمت وداهمت يوماً ما بيتاً لتعتقل أناساً يعيشون في بيتهم مطمئنين غير متوقعين ما ساقه لهم القدر بتهمة الإساءة إلى خادمة المنزل. ولاحظوا نحن نقول تهمة، فلم يكن لديهم الدليل القاطع بأن هناك أصلاً تهمة، فإذا كانت الخادمة عند سؤالها لم تذكر شيئاً من هذا القبيل، إذن من قام بالتبليغ بأن هناك مخالفة أصلاً إذا لم تكن الضحية قد قامت بذلك؟

وإذا كان من ضمن التهم الموجهة لزوج الموفد السعودي، تهمة استعباد الخادمة، وإلزامها بالاستيقاظ مبكراً، والنوم في وقتٍ متأخر بسبب انشغالها بالطبخ والتنظيف وغسل الملابس، فهل هذا الضغط في الأعمال المنزلية ـ إن ثبت ـ يعد مبرراً لأن تقوم قوات المباحث الفيدرالية (ولا أستبعد استدعاء المارينز) بتصويب المسدس نحو رأسها ثم اعتقالها؟

والأدهى والأمرّ هو طريقة الاعتقال الفظة اللاإنسانية التي في نظري لم يعامل بها مجرمو الحرب أمثال ألموج، هذا الذي كان يشغل منصب قائد الجبهة الجنوبية في الجيش الإسرائيلي في الحقبة الممتدة من 2000 حتى 2003، ومثل وزير الدفاع الإسرائيلي شاؤول. ومثل الصربي سلوبودان ميلوسيفيتش، عندما تم تسليمه لمحاكمته عن

جرائمه البشعة ضد الإنسانية أمام محكمة العدل الدولية في لاهاي. كذلك مثل كبير مجرمي الحرب رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون، الذي أشرف على جريمة صبرا وشاتيلا سنة 1982.

إن التزام الشخصية السياسية الأمريكية بالرأي القانوني، الذي يطالب بالعدالة الدولية ويرفض فرضها بالقوة يرمي إلى إخضاع العالم لقانون دولي يحكمه الهوى السياسي، ويجب أن تعرف السياسة الأمريكية أن هذا الهوى السياسي لا يرتكز فقط على الرغبة في حماية أمثال أرييل شارون من محاكمته على جرائمه في الماضي والحاضر وربما المستقبل بتخطيطه الهادف إلى إبادة الشعب الفلسطيني وإنما يستند أيضاً إلى خوف أمريكا على نفسها من المحاكمة على جميع الجرائم التي ارتكبتها ضد الإنسانية في كل من أفغانستان والعراق والصومال وفيتنام وغيرها، وهو ما واجهته واشنطن أثناء محاكمة نورمبرج بألمانيا لقادة الرايخ الثالث عندما طالبت اليابان بمحاكمة أمريكا على جريمة إلقاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما ونكازاكي، واستخدمت أمريكا في ذلك الوقت قوتها السياسية وهيمنتها على العالم لمنع مساءلتها عن هذه الجريمة ومحاكمتها عليها.. وبذلك حجبت الاتهام ضدها على الرغم من أن إلقاء القنبلتين الذريتين على المدينتين اليابانيتين يمثل أكبر وأبشع جرائم الحرب في التاريخ الإنساني.

وكانت آخر فضائحها العدوانية والتجسسية على الصين، تلك التي قوبلت بمطاردة صينية. وهي حادثة تثبت على أمريكا هوسها التجسسي على العالم كله دون وجه حق، مخالفة بذلك أحكام القانون

الدولي العام التي تضمن لكل دولة حرمة خصوصيتها تحت مبدأ السيادة الكاملة على إقليمها. فأمريكا في الواقع إن لم تجد دولة تتجسس عليها تقم بالتجسس على نفسها.

إن تلاعب واشنطن بالقانون الدولي العام جعلها لا تتردد في اختطاف الرئيس الياباني مانويل تويري من بلده وتقديمه للمحاكمة أمام القضاء الأمريكي، وهي سابقة لا يعرف التاريخ مثيلاً لها، إنها القوة ومنطقها، وقد تدخلت أيضاً بالقوة القهرية لتفرض تجميد الأموال والممتلكات الإيرانية في الخارج بعد الثورة الإيرانية سنة 1979، إذ شاركت في قيامها ضد حليفها في حلف الناتو.. حلف جنوب شرق آسيا شاه إيران، الذي فرضت عليه التيه في العالم بعد أن قررت أنه شخص غير مرغوب فيه بأمريكا.

الأدهى من كل ذلك والذي يجعل العالم يتفنن في كرهه لأمريكا وما تقوم به، هو ما تمارسه من جبروت إذا تجرأت محكمة دولية بإصدار حكم ضدها، وتقيم الدنيا ولا تقعدها إذا أدانت محكمة بإحدى الدول مواطناً أمريكياً يقيم بها بجرم ارتكبه على أرضها يعاقب عليه القانون الساري بها، وهذا يجعلنا أمام حالة فريدة في الفكر الإنساني القانوني بمحاولة أمريكا إعطاء نفسها الحق في مخالفة التشريعات القانونية الصادرة والمطبقة في البلدان المختلفة، والعمل على فرض التشريعات الصادرة من الكونغرس الخاصة بالوطن والمواطن الأميركي على كل الناس في الأوطان كافة من خلال تصور أمريكي مريض يفترض أن كل الدول خاضعة لنفوذها لما تتمتع به من قوة تجعلها تنفرد بالسلطة الدولية.

ولعل ما يثير الاشمئزاز تلك الأفكار المريضة والتوجهات التي يؤيدها بعضهم من داخل أمريكا والتي تفتقد للمنطق القانوني وتبتعد عن الشرعية. فقد ذكر الدكتور جاري باث، وهو أحد أساتذة القانون بجامعة برنستون وصاحب كتاب جرائم الحرب، وتأملوا ما يقوله ذلك القانوني، ذكر أن الدول والهيئات دون أمريكا تتحول إلى مجرد منتديات للنقاش السياسي غير المجدي لعدم إمكانية تطبيقه على المستوى الداخلي في الدول وعلى المستوى الدولي في علاقاتها مع بعضها بعضاً، فإذا كان هذا هو كلام رجل القانون فما عساه أن يقول راعي البقر؟

هذا التفكير وذلك القول الذي يصدر من أمثال الدكتور جاري باث، الذي يعد من أساتذة القانون المعروفين والمشهود لهم، إنما يدلل على وجود أزمة قانونية حادة داخل أمريكا، تنكر على الدول استقلالها وتجعل من أمريكا هي الوصية وهي شرطية العالم.. الأمر الذي يعطيها الحق بأن تكون فوق القانون. وهذا الشطط الفكري لم يكن معهوداً في أمريكا قبل عشرين سنة ماضية، غير أن إحساس واشنطن بالقوة المتزايدة ولا سيما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي سابقاً جعلها تحاول فرض إرادتها على غيرها من الدول والمنظمات الدولية.

إذاً، وبهذا الفكر قد لا نستغرب ما يتعرض له الطالب حميدان، فالمباحث الفيدرالية التي تزعم أنها اعتقلت الزوجين بسبب مسألة إنسانية، نجدها قد ارتكبت خطأً إنسانياً، وجرماً واضحاً ضد أكثر من إنسان، بل وفي مرحلة عمرية أخطر، ونعني هنا أطفال تلك الأسرة المكلومة، حين اعتقلت الزوجين واقتادتهما للتحقيق تاركة في البيت أطفالهما بلا رعاية ولا عناية.

لا بد أن تدرك الحكومة الأميركية أن أجواء الرعب والترقب التي خلقتها بين الطلبة السعوديين الموجودين أصلاً في أميركا، أو الذين يخططون لمواصلة تعليمهم هناك، أكاد أجزم أنها كانت مقصودة، وأنهم يعنون ما يفعلون. فلقد أساءت إلى محاولة الحكومة الأميركية مؤخراً تطبيع العلاقات التعليمية، كما أن طريقة الاعتقال هذه تأتي لتجعل العرض الأميركي، بتقديم منح للطلاب السعوديين للدراسة في أميركا، وتسهيل التأشيرات لتشجيع السياحة السعودية في أميركا التي أصيبت في مقتل، تبدو وكأنها كذبة أو خطه لاستدراج بعضهم!!

وفي تطورات غريبة واستفزازية على ما يبدو، سلمت إدارة الهجرة الأمريكية في دنفر كلورادو رسالة إلى محامي زوج المعتقل حميدان، تتضمن طلب دفع خمسين ألف دولار كفالةً جديدةً لإدارة الهجرة قبل الساعة التاسعة صباحاً من يوم الإثنين الموافق للثاني عشر من شهر ديسمبر 2005، وإلا ستعود إلى سجن إدارة الهجرة. وهذا هو الأمر الثاني خلال إسبوعين بإعادة اعتقالها. وكانت محكمة مقاطعة أرابهو في ولاية كلورادو قد أمرت بإعادة اعتقال زوج موفد الدكتوراة السعودي حميدان التركي يوم الإثنين الموافق 2005/11/21، بدعوى وهمية تقول إنها ارتكبت خللاً قانونياً في نظام الكفالة. وقد جاء أمر القبض هذا قبل خمس ساعات فقط من موعد جلسة للتركي ولزوجه كانت حددت مسبقاً، لتكون موعداً للمثول أمام قاضية مقاطعة أرابهو لقبول أو رفض التهم الموجهة إليهما، وموعداً نهائياً أيضا لقبول زوج التركي بعرض من المدعي العام يقضي بأن تعترف بجرائم لم تقترفها

ـ حسبنا الله ونعم الوكيل ـ مقابل ترحيلها مع احتمال استخدامها شاهداً ضد زوجها واحتمال سجنها لمدة لا تزيد عن 90يوماً. ويرى المتابعون لهذه القضية الجديدة، أنها محاولة لإرعابها والضغط عليها لقبول هذا العرض الذي عرضته عليها الحكومة قبل شهرين. وكما أوردت الاسوشيتد برس وعدد من الوكالات فقد تقدم محامو الدفاع خلال الجلسة بطلب تأجيلها بسبب هذه القضية المستجدة، وطالب آخر بتأجيل أمر القبض ليوم واحد، حتى يتسنى له توفير قيمة الكفالة ومناقشتها، لاسيما أن الكفالة المحددة هي خمسون ألف دولار، لكن المدعية العامة اعترضت على ذلك، بينما وافقت القاضية على تأجيل الجلسة الأصلية لمدة شهر واحد (يناير 2006) ، وأخرت أمر القبض لمدة أربع وعشرين ساعة.

وفي اليوم التالي عرضت القضية الجديدة على قاضية أخرى، وناقش محامي الدفاع مبلغ الكفالة، لاسيما أن التركي وزوجه قد دفعا ما يقارب مليون ومئة ألف دولار في كفالات سابقة، ووافقت القاضية على تخفيض الكفالة إلى خمسة آلاف دولار تدفع حالاً (ما قصروا)! وتم دفع الكفالة في الحال بعد إجراءات الحجز والبصمات. وما إن مر أسبوع واحد على هذا الأمر حتى فاجأ محامي الهجرة الخاص زوج الموفد السعودي حميدان التركي برسالة إدارة الهجرة يطلبون فيها مبلغ كفالة جديد وإلا الاعتقال! أليس هذا ابتزازاً مكشوفاً؟ أليست هذه معاملة رخيصة؟ ولكن كما يقول المثل الدارج: العيب ليس عيباً إذا أتى من أهل العيب.

كذلك وصلت رسالة جديدة لمحاميي التركي وزوجه من وزارة العمل، بعزم إدارة العمل رفع قضية مدنية على التركي وزوجه إذا لم يدفعا للخادمة مبلغ مئة وخمسة وعشرين ألف دولار، باعتبار أنها تعويضات مبدئية (أعانكم الله يا آل تركي)، ولا يزال التناقش في هذه القضية جارياً المحامين ووزارة العمل، حيث كرر محامو التركي وزوجه للوزارة أن رواتب المرأة موجودة ولم تمنع عنها حيث حفظت لها حسب طلبها، وأنها لم تتمكن من استلامها.. لأنها ببساطة أخذت قسراً من منزل التركي من قبل إدارة الهجرة العام الماضي، وأخفيت عن الأنظار رغم استنجادها المتكرر لمساعدتها حين كانت في سجن الهجرة. وكان محامو التركي قد أثبتوا في المحكمة الفيدرالية أن الخادمة قد أنكرت تعرضها لأي تحرش جنسي أو مضايقة أو تعسف في أكثر من إحدى عشرة مقابلة مع المباحث الفيدرالية، ومع السفارة الإندونيسية خلال الأشهر الستة الأولى من اعتقالها.

وفي تطور آخر على صعيد المحكمة الفيدرالية، فقد تم تحديد وقت محاكمة التركي وزوجه في التهم الموجهة لهما بهذه المحكمة، وكذلك تم تحديد موعد لمناقشة الاعتراضات التي تقدم بها محامو الدفاع. وحدد القاضي الفيدرالي ميلر أسبوعين اثنين للمحاكمة، ويوماً ونصف اليوم لاستماع الاعتراضات، على أن تكون المحاكمة في نهاية شهر أبريل 2006 وجلسة الاعتراضات قبل المحاكمة بشهرين (فبراير 2006 م). وقد صدر موخراً (2006/9/1 م) حكم قاضي محكمة ولاية كولورادو بالولايات المتحدة الأمريكية على

الطالب السعودي الموفد حميدان التركي بالسجن 28 عاماً بعد أن أقرت هيئة المحلفين في محكمة أرابهو بمدينة دنفر الأمريكية أن التركي مذنب في جميع التهم التي وجهت إليه، وهي: الاختطاف من الدرجة الأولى، والتآمر على الاختطاف من الدرجة الأولى، والتحرش الجنسي من الدرجة الرابعة.

وقال موقع (حميدان التركي) إن الادعاء العام سوف يستدعي التركي بعد قضاء مدة سجنه (28 عاماً) فإذا أقر بذنبه واعترف بخطأه أفرج عنه، وإلا بقي مدى الحياة.

الأستاذ إبراهيم التركي ـ شقيق حميدان ـ أكد لوسائل الإعلام بعد المحكمة: «أنهم طلبوا الاستئناف في القضية ولن يتوقفوا لهذا الحكم الجائر وهم سينتظرون متى يتم تحديد ذلك لمحامي حميدان، أما زوجه وأبناؤه فسيعودون للمملكة بعد ثلاثة أسابيع تقريباً مع والدتهم وذلك بعد خروجها يوم الجمعة من السجن لانتهاء محكوميتها التي مكث خلالها أولادها الخمسة خلال الشهر الماضي في منزلهم وحيدين مع شقيقهم تركي ذي الثمانية عشر عاماً وشقيقاته: لمى 14 عاماً ونورة 11 عاماً وأروى 8 أعوام وربى 6 أعوام.

وتستمر الفاجعة التي لاحقت العائلة السعودية المنكوبة في بلد الحرية والديمقراطية.. ويقف حميدان بشموخ المؤمن المظلوم الذي لا ينحني إلا لخالقه في المحكمة التي علاها الصراخ والبكاء بحرقة من أبناء المواطن التركي الذين كانوا حاضرين ساعتها مع حشد كبير من

obeikandl.com

المسلمين داخل وخارج المحكمة ليعلنها في كلمة ألقاها أمام القاضي بأنه طالب سعودي جاء للدراسات العليا، لم يأتِ لاختطاف وثائق ولا لسرقة أموال عامة ولا ليتحرش بأحد... وقال: «أنا لست هنا لأعتذر لأنني لا أستطيع الاعتذار عن أشياء لم أفعلها وجرائم لم أرتكبها، لقد جرّمت الولاية هذا السلوك الإسلامي الأساسي، وتعد مهاجمة السلوك الإسلامي التقليدي النقطة الأساسية في الادعاء.. لقد هددتموني بالإيذاء، وها أنتم تفعلون، لكن ما ذنب أبنائي وبناتي الصغار؟»

ورغم كل ذلك يبقى حميدان التركي.. وحيداً.

وقد كتبت السيدة سارة الخنيزي أبياتاً من الشعر تشرح فيها معاناتها وتصف فيها حالها وحال زوجها المكلوم وفيها:

ناشـــدتُ أهل البـــر والإيثـــارِ

ناشـــدتُ أمـــةَ ســـيـــدِ الأبرارِ

ناشدتُ من عُرفوا بصدقِ عزيمةٍ

قـــومي رؤوسَ المجـــدِ والإكـــبـــارِ

أنا بنتُ نجـــــدٍ بورِكت وتهللتْ

من أهلهـــا ذي الســـادة الأخـــيـــارِ

زوجي ابن نجـدٍ في رُباها قـد رَبا

شـهـمـاً طهـوراً من ثرى الأطهـارِ

قـد كـبلونا بالحـديد وحسـبـهم

كفُ الدعـــاءِ يجـــودُ ليلَ نهـــارِ

ورُمِـيتُ واهولاه في ســجن العنا

ورمـــوا بزوجي خلفَ ذعـــرِ جـدارِ

قـــد رنَّ في أذني بكاءُ أحـبـــتي

خـمسٍ من الأطفـالِ في الأسـحـارِ

باتوا بـلا أمٍ بغـــيـــبـــة والدٍ

وغـدوا كـأيتـامٍ، فـيـا للعـار ِ

كشـفـوا عن الوجـه الحـيي غطاءه

وظهـرتُ في الإعـلامِ دونَ ستـارِ

ورُمـيتُ بالجـرمِ الذي لم أقـتـرفْ

وكـــذاك زوجـي زج دونَ حـــوارِ

قـد أطلق الفـجـارُ إفكاً فـاحـشـاً

أواه من ذا آخـــذٌ بالثـــارِ؟

يرمـون عـرضـاً طاهـراً بهُـرائهمْ

حـقـد تبـدَّا دونما أسـتـارِ

اللهُ عـــــلامٌ بصـــــدقِ براءةٍ
فـيــمــا أبنتُ وعــالمٌ أســراري
مثل الشهامة كان زوجي محسناً
في قــومــه من خــيــرة الأخــيــارِ
قــد ألجم الهم الكئــيب مناطقي
وارتج قلبي وانطوى مـــشــــواري
بابُ الإلهِ وقـــــد طرقت بابه
بمغـــيـــبي أمـــلاً بفك إســـاري
ثم التـجـأت إلى بني قـومي وفي
قلبي من الآمـــال كـــالأمطار
هيا اسمعوا صوتاً بريئاً قد ثوى
في الســـجن بين براثن الكفـــارِ
وارمــوا ســهــام الليل بالله الذي
ينجــيــه فــهــو مــقــدر الأقــدارِ
لأحــبــتي أهدي دمــاءَ مــدامــعي
فــدمي على الوجنات دمع جـــارِ

obeikandl.com

فـأحبـتي عـُرفـوا بصـدق أخـوتي

وأحـــبـــتـي هـم نصـــرة الأحـــرار

يا كلَ من نطق الشــهـادة مـسلمـاً

بالله شـــد العـــزم فـي إصـــرارِ

أمـــــراءنـا وزراءنـا كـــبـــــراءنا

الخـطـبُ أعـظـمُ مـن أنـين هــزارِ

أشكو إليكم حــرقـتي وتوجــدي

خـــــــــوفي وآلام ورعـب دثـاري

مــا رد مظلوم بســاحــة عــدلكم

أو ذل صــــاحب عـــزة بقـــرارِ

بنيــانُ أمــتِنا يشــدُّ قــوامَــهُ

ياصــرخــةَ المظلومِ صــوتُك عــارِ

يوم ســيــشــرق بالبــراءة ســانحــاً

وســـتـــرجع الأطيـــارُ للأوكـــارِ

يومــاً ســتـــرجعُ يا أبا تركي لنا

ويُرد كـــيـــد كـــائد ببـــوارِ

obeikandl.com

ثم الصـــــــلاة علـى الـنـبـي وآلـهِ

خـيــرِ البــرية ســيــدِ الأخــيــارِ

وقـد نشـر في «جـريدة الرياض» رسالـة خاصـة و(مـؤثرة) من ابنة المعتقل حميدان التركي (لمى) ـ 14 سنة ـ بعثت بها من كلورادو حيث يخضع والدها ووالدتها وأبناؤهما لفصول من المعاناة كانوا خلالها يترددون على المحاكم الأمريكية بين مدة وأخرى منذ نحو عام.

وروت لمى التركي في رسالتها المؤثرة اللحظات العصيبة التي تمر بها عائلتها هناك ولا سيما بعد التطورات الأخيرة على القضية مشيرة إلى الضغوط التي تعرضت لها والدتها في قاعات المحكمة خلال الجلسة الأخيرة وتهديدها بالسجن المؤبد أو الاعتراف بتهمة واحدة ضد زوجها لتسقط باقي التهم، وهو ما رفضته سارة الخنيزي زوج التركي. وفيما يلي نص الرسالة التي ناشدت لمى التركي في نهايتها الجميع بالوقوف مع أسرتها المظلومة والدعاء لهم ليفرج الله ما تمر به من ظلم وتعود إلى أرض الوطن قريباً بإذن الله:

هذه صفحة من مذكراتي تحكي لحظة من اللحظات العصيبة التي تمر بها عائلتي من خلال قضية ملفقة.. مزيفة لا أصل لها من الصحة.. هراء.. كذب.. صُب على والدي تهم هو منها براء والله شهيد على ذلك، منذ قرابة تسعة أشهر ونحن نتردد على المحاكم. من هنا أسطر حدثاً أو موقفاً من هذه المحاكم.. في

صباح باكر من يوم الخميس رافقت والديّ أنا وأختي نورة وأخي تركي حيث موعد محكمة المقاطعة، والكل يشعر بقلق شديد وتوتر، وهذا الشعور يراودنا في كل محكمة.. كان الجو بارداً.. الثلج يتساقط بشدة.. توقعنا إلغاء المحكمة لسوء الجو.. الطريق مزدحم بالسيارات.. الرؤية معتمة (وصلنا إلى المحكمة بعد عناء).. وصل بنا المصعد إلى الدور الرابع حيث القاعة 402 التي اتجهنا إليها، وإذا بهيئة الدفاع تنتظر بالخارج لحين بدء المحكمة، ألقينا عليهم التحية، توجهت والدتي إلى محاميتها لتتأكد من أن المحكمة اليوم هي محكمة عادية وغير مقلقة، فطمأنتها المحامية... جلسنا على كراسي الانتظار، بدأ الحضور بالتوافد منهم إخواننا المسلمون ومنهم أساتذة وطلاب من جامعة والدي.. بعد برهة فتحت أبواب القاعة وأذن لنا بالدخول، دخلنا وتبعتنا هيئة الدفاع والكل أخذ مكانه في القاعة، حيث تقدمت هيئة الدفاع إلى منصة الدفاع وجلس الحضور في المقاعد الخلفية، جلسنا وجلس والديّ معنا لحين أن يؤذن لهما بالتقدم إلى منصة الدفاع. فجأة بدأ يتهامس محامي والدتي والمدعي العام فيما بينهما، بعدها طلب محامو والدتي منها أن ترافقهم خارج قاعة المحكمة. فوجئ والدي بذلك.. تمتم أبي في أذن أمي بكلام لم أسمعه علمت فيما بعد أنه كان يوصيها بالثبات والاتكال على الله سبحانه وتعالى والاستعانة بالاستخارة.

مضت عشر دقائق ثقيلة وكأنها ساعات بدأنا نشعر بالقلق على والدتي، طلبت من والدي أن نذهب أنا وأختي لنطمئن عليها فأشار علينا بالتريث. مضت عشرون دقيقة... ثلاثون.. لم أتمالك نفسي فخرجنا من القاعة وأخذنا نجوب الممرات نبحث عنها بكل قلق، نزلنا إلى الطابق الأسفل فوجدت قاعة اجتماعات كبيرة، فتحت الباب فهالني ما رأيت.. رأيت أمي المسكينة محاطة بمحاميها وأناس لم أعرفهم، اقتربنا منها وجدناها قلقة تخنقها عبرات الحيرة، سألتها: هل أنت بخير، طمأنتنا وطلبت منا أن نكون بعيدين خشية أن نسمع ما يدار.. طرقت إلى مسامعي بعضاً من التهديدات المرعبة التي كانوا يوجهونها لوالدتي.. أصغيت مسامعي.. اقتربت لا شعورياً.. سمعت تهديدات بالسجن.. سنة كاملة.. سبع سنوات.. السجن المؤبد.. علمت أنهم يتكلمون عن العرض الذي قدم لأمي منذ أشهر عدة (هو الاعتراف بتهمة واحدة وإسقاط باقي التهم عنها والسجن لمدة تسعين يوماً مقابل الموافقة) ولكن أمي كانت رافضة تماماً لهذا العرض، فكيف تعترف بشيء لم يحدث.. علاوة على ذلك فإن فيه إلحاق ضرر بأبي، أحسست بالفاجعة حينما فكرت لوهلة أنني سأفتقد حبي وحناني.. سأفتقد أمي. ومع كثرة الإلحاح والضغط طلبت أمي لحظات تخلو بها مع نفسها.. حاولت الدنو منها في هذه اللحظات فأشارت لي بيدها أن أبقى بعيدة. لن

أنسى ذلك المشهد.. رأيت أمي ترفع يديها تدعو الله وتلتجئ إليه في هذه اللحظات العصيبة. بدأت أختي نورة تجهش بالبكاء وتعلقت بذراع أمي وأصبحنا نرجوها ونتوسل إليها بدموع تشهد عمق مأساتنا لقبول العرض خوفاً عليها من السجن وذلته، لكنها تثبت نفسها وتظهر لنا القوة.. وقلبها يتقطع ألماً وحسرة من شدة الحدث.. بكاؤنا وإصرارنا شجع المحامين على الضغط عليها للموافقة وأخذ العرض من أجل أطفالها، لكن أمي أصرت على الرفض، (ازداد ضغط المحامين) مع ازدياد هلعنا لعلها توافق في آخر لحظة، فما كان من أمي إلا أن انتفضت قائمة بكل عزة وشموخ معلنة بذلك انتهاء محاولات الضغط عليها والتوجه إلى قاعة المحكمة.

استبقتهم أمي إلى القاعة ونحن بين ذراعيها تضمنا إلى صدرها مما أشعرنا بدفء الحنان الذي طمأننا تلك الحظات، أقبلنا على القاعة فإذا بأبي ومحاميه خارج القاعة، أقبل أبي عليها وقد بدا عليه قلق شديد، طمأنته أمي علينا وبعدها توجه الجميع إلى المحكمة لبدء المحاكمة.

موقف بسيط من مواقف كثيرة عصيبة نمر بها دائماً قد حفر في ذاكرتي.. أذكره بالليل والنهار، يثير في نفسي دواعي الصبر على الابتلاء لكنه في الوقت نفسه - ومع مرور الأيام - يشعرني بالفخر والاعتزاز بوالدي الحبيبين على ثباتهما وقوة صبرهما.

obeikandl.com

حبيبي أبي.. حبيبتي أمي..

إن بعد الليل فجراً.. وبعد الظلام نوراً.. وبعد العسر يسراً.

النصر قادم والفرج قريب.

عهداً لكما علي أنا وإخوتي بالدعاء بالفرج طالما راية البراءة ترفرف على بيتنا، أملي أن يكون هذا هو ديدن كل محب لعائلتنا المظلومة بالنصر والفرج القريب.

لمى التركي

ابنة المعتقل، الطالب السعودي حميدان التركي

❀ ❀ ❀

الإرهاب بعينه

كان أحد الطلبة السعوديين، موفداً من قبل إحدى الشركات الكبرى بالسعودية ويدعى (ع.م) يتلقى تعليمه في جامعة ولاية أريزونا (وقد نقلت هذه القصة على لسانه و بطريقته).. يقول أخونا: إنه كان على مقربة من التخرج مرحلة البكالوريوس، وكان أحد إخوته (أ.م) يتردد عليه خلال تلك المدة عن طريق الزيارات الصيفية، حتى تمكن لاحقاً من الانضمام إلى الجامعة نفسها. وفي إحدى السفرات التي كان متوقعاً أن يصل فيها أخوه من السعودية، ذكر (ع.م) أنه بينما كان يجلس في صالة الانتظار بمطار (Sky Harbor) بمدينة فينكس بولاية

obeikandl.com

أريزونا لاستقبال أخيه.. إذ قدم إليه شخصان (كان أحدهما من ضباط المباحث الفيدرالية والآخر من ضباط الجوازات).. وطلبا منه الذهاب معهما إلى مكتب الجوازات بالمطار. ولما وصلوا إلى المكتب قام ضابط المباحث الفيدرالية بإخباره أن أخاه (أ.م) محتجز لديهم، وأنه يجب عليه مغادرة أراضي الولايات المتحدة الأمريكية. عندها تعجب مستفسراً منهما عما فعله أخوه، فهو جديد ولم يدخل البلد وما زال في المطار. يقول (ع.م): «عندها قام ضابط المباحث بإطلاعي على صورة قديمة لأحد الأصدقاء القدامى وسألني إن كنت أعرف ذلك الشخص الموجود في الصورة. وبالتمعن في الصورة تذكرت أنه أحد الأصدقاء القدامى لي ولأخي، عندها ذكرت لهم ذلك وقلت لهم إن اسمه (س.س)، قام بعد ذلك كل من الرجلين بطرح أسئلة عدة حول طبيعة علاقتنا به فأخبرتهما بأن آخر مرة رأيته فيها كانت منذ أكثر من ثمانية أشهر، وسألتهما عن المشكلة وعما فعل الرجل؟ فأخبراني أنه كان متورطاً في التفجير الذي حصل في الرياض، وسألاني إذا كنت أعرف شيئاً عن ذلك الشخص في آخر مرة رأيته فيها، فأخبرتهما أنني في آخر مرة لم أرتَح كثيراً للتغير الذي حصل في شخصيته، فلقد أطلق لحيته، ولم تكن تعجبني الموضوعات التي كان يتكلم فيها، فابتعدت عنه ولم أحب فيه ذلك التغيير. بعد ذلك سألتهما عن مصير أخي ولماذا سيطرد خارج الولايات المتحدة الأمريكية فأخبراني أنه قدم بتأشيرة زائر لزيارتي خلال مدة الدراسة في ولاية لويزيانا. ثم طلبوا مني أن أبقى على اتصال بهم و أخبراني أنهم

سيحتجزون أخي في أريزونا لحين الانتهاء من إجراءات مغادرته الولايات المتحدة. فطلبت منهما إخباري عن موعد مغادرته ورقم الرحلة حتى أطلب من أهلي استقباله في المطار. وبعد أيام عدة علمت منهم أن أخي غادر الولايات. أخبرني أخي عن سوء معاملته وقت احتجازه، وأنه طلب أن يقوم بالاتصال بالسفارة السعودية استناداً لحقه القانوني الذي يسمح له بذلك، إلا أنهم رفضوا، وأبدوا حججاً كثيرة.. منها أن الخطوط مشغولة.. ثم قالوا له إنه لا يستطيع أن يقوم بالاتصال مرة أخرى.. ثم ذكر أخي أنهم طلبوا منه أن يعطيهم جواله إلا أنه رفض في البداية، إلى أن قام أحد الضباط بتصويب المسدس تجاه رأسه وهدده، فقام أخي بإعطائهم الجوال وجميع أوراقه الثبوتية (بطاقة الجامعة، وبطاقة إثبات الشخصية الأمريكية) فقاموا بإتلافها على مرأى منه، ثم قاموا بإلغاء تأشيرته واتهموه بأنها منتهية قبل عودته من إجازته من السعودية. وأخبروا أخي أنهم استخدموه كطعم حتى يعرفوا مع من سيسافر إلى السعودية.

وأضاف (ع.م) أنه خلال الفصل الدراسي الأول من عام 2003، كان مراقباً من رجال المباحث الأمريكية، ومطارداً في جميع الأماكن داخل تلك المدينة، إلى أن طلب منه أحد رجال المباحث أن يقوم بعمل اختبار الكذب، حتى يتمكن من مساعدة أخيه للعودة للدراسة في أمريكة. ويقول (ع.م) إن المهم لديه كان أن يوضح موقف أخيه ويبرئه.. ومن هذا المنطلق، ومن خلال ثقته بنفسه، ومن ثقته بأن أخاه لم يفعل شيئاً مخالفاً للقانون، وأن لا شيء لديه ليخفيه، فقد قرر أن يقوم

بعمل ذلك الاختبار الذي اجتازه دون مشكلة. وبعد مدة من الزمن وبالتحديد في الفصل الثاني من عام 2004، ذكر (ع.م) أنه قام بسؤال رجال المباحث عما إذا كان في استطاعة أخيه أن يعود إلى دراسته، تحقيقاً للوعد الذي وعد به من قِبلهم.. فقد اجتاز الاختبار حسب طلبهم، فهل سوف يسمحون لأخيه بالعودة؟ فأجابوه بأن أخاه ليس لهم عليه تحفظ وأنهم سوف يتأكدون من المباحث الفيدرالية ثم يردون عليه بعد يومين.

وبعد أيام عدة قاموا بالاتصال به وطلبوا منه أن يقابلوه لأنهم لا يودون أن يتحدثوا بالهاتف. وفي اليوم الثاني جاؤوا إلى شقته وأخبروه بضرورة مغادرة أمريكا، عندها سألهم عن السبب في ذلك على الرغم من تعاونه معهم واجتيازه اختبار الكذب، فأفادوه بأن المباحث في مدينة فينكس ليس لديها تحفظ عليه، إلا أن المباحث الفيدرالية في واشنطن غير راغبين في وجوده بأمريكا وأن عليه المغادرة فوراً. فأخبرهم بأنه لم يتبقَ له سوى (27) ساعة دراسية، وأنه يرغب في إنهائها قبل مغادرته أمريكا. عندها قالوا له بأن الترتيبات مع واشنطن تمت بالسماح له بالبقاء حتى نهاية ربيع 2004 م، ثم عليه بعد ذلك مغادرة أمريكا. طلب منهم أن يسمحوا له بالبقاء حتى صيف 2004 م، حتى يتمكن من إنهاء الساعات المطلوبة وبالتالي يتمكن من التخرج، فرفضوا، لكن تعاطفاً منهم معه شخصياً قاموا بالتحدث مع الجامعة لكي يتمكن من إكمال ساعات التخرج. وبعد أيام عدة قام أحد رجال المباحث بالاتصال به وطلب منه أن يتصل بنائب رئيس الجامعة الذي

أفاده بأن مساعد عميد كلية الإدارة سوف يقوم بترتيب طريقه معينة له يتمكن من خلالها من دراسة الساعات المتبقية ليتسنى له التخرج. وبعد أيام عدة أخبرته الجامعة بأنه يجب عليه دراسة الساعات المتبقية في جامعة معترف بها لديهم، على أن تكون خارج الولايات المتحدة الأمريكية لكي يتمكن من الحصول على البكالوريوس. ومن غرابة الأمر أن هذا الاتفاق كان سرياً بينه وبين الجامعة بحيث لا يعرف به مرجعه الأكاديمي، وذلك من أجل السمعة العلمية للجامعة، وإلا فلن يسمحوا له بالحصول على البكالوريوس. ومن الأشياء الغريبة أنهم كانوا يضغطون عليه بألا يقوم بإبلاغ سفارة المملكة ولا الشركة التي هو موقد منها بذلك، لكي لا تغضب المباحث الفيدرالية في واشنطن الأمر الذي سيؤدي لإخراجه من أمريكا.

❀ ❀ ❀

هل أنت أسامة بن لادن؟

كانت الحقبة التي تلت أحداث 11 سبتمبر متعبة جداً ومحرجة لنا كلنا، إلا أن الأبناء كانوا أفضل حالاً فقد استمتعوا كثيراً وشاركوا بأغلب الأنشطة والرحلات ووجدوا كل رعاية واهتمام؛ فلقد كانت المدارس رائعة في تطبيق النظام، ولا يعترفون بالوساطة، بل جهد الطالب هو المحرك الأساسي. إلا أنه في أحد الأيام جاء ابني وكان خائفاً حائراً، وعندما سألناه عن سبب خوفه، أخبرنا أن أحد الطلبة قام بضربه وتلفظ عليه بألفاظ نابية وكان يناديه بأسامة ابن لادن.

احترت كثيراً، إلا أن والدته أصرت على عدم إرسالة إلى المدرسة مع ضرورة بقائه في البيت، ولكن وبعد محاولات استطعت إقناعها بعدم جدوى ذلك، وأنه من الضروري مواجهة الموقف، والإبلاغ عن الحادثة، واستندت في ذلك إلى القوانين الخاصة بالمدرسة. وفعلاً استجمعت زوجتي قواها وذهبت إلى المدرسة وساعدها في ذلك تمكنها من اللغة، وتوجهت إلى الإدارة بكل قوة وأخبرتهم عن الحادثة وكانت دهشتها كبيرة حين استقبلت بكل أدب واحترام مع وعود صادقة بالبحث والتقصي ومعالجة المشكلة في الحال. عندها قاموا باستدعاء الطالب الآخر مع والدته، وكتبوا عليها تعهداً بعدم تكرار ذلك وفي حالة تكراره فإن المدرسة سوف تقوم بفصل الطالب.

❀ ❀ ❀

رحلات

رحلة كندا:

من الأشياء الجميلة في أمريكا تلك الشلالات التي تقع في ولاية نيويورك شمال أمريكا وعلى الحدود مع كندا.. كان يراودني الحلم بزيارة تلك الشلالات، ولأمكِّن الأطفال من رؤيتها والاستمتاع بها.. عقدنا العزم على الذهاب في صيف 2003، فتلك الأماكن إذا لم تزرها في الصيف فلن نستطيع زيارتها في أي وقت آخر. فالجو يكون بارداً والثلوج تكسو الأنهار. وبعد أن قررنا الذهاب قمت بعمل الحجوزات

obeikandl.com

اللازمة للسكن عن طريق price line.. فالطريق طويل يعبر ولايات عدة، كما قمت أيضاً بعمل كل الفحوصات للسيارة ومنها تغيير الإطارات كاملة من wal-mart. خرجنا فجراً من كاربنديل متزودين بالخرائط اللازمة لكل من ولايات إلينوى وإنديانا وأوهايو ونيويورك وميتشغان، وبعض المدن الكبيرة مثل دنفر، ودترويت. كذلك خط سيرنا عن طريق موقع (Yahoo). توكلت على الله وسرنا على بركة الله، وتذكرت حينها برنامجاً كان يبث بالتلفزيون السعودي في الثمانينيات يدعى (ربوع بلادي).

كان خط السير طويلاً.. ولكن كم كان جميلاً شعورنا بالمتعة كعائلة واحدة.. وكانت كاميرا الفيديو مرافقة لنا.. فالمناظر الخلابة والأنهار التي نمر بها تجبرك على التصوير.

مضينا في طريقنا وعبرنا إلينوى إلى إنديانا ومن ثم إلى أوهايو وقررنا أن ننام في دنفر حيث حجزنا غرفة في فندق ممتاز، واستيقظنا في اليوم التالي وواصلنا السير إلى أن بلغنا مدينة نياغرا فولز بولاية نيويورك. المدينة كانت صغيرة رغم موقعها السياحي على نهر كبير وعلى شلالات سياحية لا توجد مثيلاتها في العالم. ولكن الشركات السياحية والفنادق الدولية اختارت الجانب الكندي لأسباب عدة، منها أن المنظر من الجانب الكندي أجمل بكثير إذ يمكّنك من رؤية الشلالات بصورة كاملة.

كان الجو ممتازاً جداً.. وجميع الأهل كانوا يشعرون بالسعادة، ولكن كما ذكرت: المدينة صغيرة وبالإمكان التعرف عليها خلال أيام بسيطة. وكنت قد ذكرت بأنني قبل السفر قمت بتغيير الإطارات كاملة إلا أنني

خلال السفر كنت أسمع صوتاً يصدر من الإطارات. ولذلك فبعد وصولي إلى نياغرا قررت أن أفحص السيارة فقال الفنيون إن الإطارات تحتاج إلى تبديل لأنها قديمة ومستهلكة! فذكرت لهم أنني قمت بتجديدها فقط قبل أسبوعين، فأشاروا عليَّ بالذهاب إلى المحل نفسه الذي قمت بتغييرها منه. ومن حسن الحظ أنني كنت قد غيرت الإطارات في wal-mart الذي تجده في كل مكان في أمريكا. وفي موقع wal-mart عندما أبرزت إيصال تغيير الإطارات، قاموا بفحصها ولم يترددوا في تغييرها كاملة دون أي تكاليف.

وبعد يومين من وصولنا كنا نلاحظ أن اللافتات كانت تشير إلى كندا.. فالحدود والبوابات تستطيع عبورها سائراً على قدميك، فالمسافة بين الدولتين هي ذلك الجسر الذي يربط بين الضفتين. ومن الأشياء التي شجعتنا ودفعتنا إلى التفكير في الذهاب إلى كندا هي رغبتنا في الصعود بمنطاد البالون الهوائي، الذي كان يقع في إحدى ساحات مدينة ألعاب على ضفة النهر من الجانب الأمريكي. فعندما رأينا الضفة الكندية من الجو وما تتميز به من الجاذبية السياحية، وكثرة الفنادق الدولية، والمراكز التجارية العالمية قررنا أن نذهب إلى كندا. ولكن كانت هناك معضلة وهي الحصول على التأشيرة. فكما تعلمون فإن السعوديين كانوا يذهبون إلى كندا دون تأشيرة قبل أحداث سبتمبر وبعده حتى منتصف عام 2003، ولكن الضغوط الأمريكية على الكنديين أجبرتهم على أن يقوم السعوديّون بالحصول على التأشيرات من أجل الدخول إلى الأراضي الكندية. وكنت قد اتصلت بالسفارة الكندية التي تبعد عن المدينة التي كنا فيها

نحو ساعة، فلم يجبني أحد؛ لأن الوقت كان في نهاية الأسبوع. ولكن أحد رجال الأمن ذكر لي أنه بإمكاني الذهاب إلى الحدود وسؤالهم من هناك. وكان سؤالي عما إذا كان بإمكاني الحصول على تأشيرة الدخول إلى كندا أنا وأهلي من الحدود، أو الذهاب إلى فرع السفارة الذي يبعد مدة ساعة بالسيارة؟

كانت الساعة الحادية عشرة والنصف ظهراً.. قررت أن أذهب للسؤال ومعي الأهل، وعندما اقتربت من البوابة الأمريكية قمت بإيقاف السيارة وذهبت لكي أسأل. وكانت إحدى الموظفات تقف خارج البوابة لغرض التدخين، ولما اقتربت منها سألتها إن كان بإمكاني الحصول على التأشيرة من هنا لكي أتمكن من دخول كندا.. فأشارت إلى البوابة الكندية التي تبعد حوالي 30 متراً عن البوابة الأمريكية. فعدت إلى السيارة وسألني الأهل: ما الأمر؟ أجبتهم بأنه يجب أن نذهب إلى البوابة الكندية لسؤالهم، فسألتني إحدى بناتي سؤالاً منطقياً: وهل يسمحون لنا بالخروج؟ ذهبنا إلى البوابة الكندية ومن السيارة قلت للموظفة إنني لم أحصل على التأشيرة وأريد أن أعرف إن كان بإمكاني الحصول على التأشيرة من هنا، أو يجب على الذهاب إلى السفارة. قالت: أعرف أن السعوديين كانوا يدخلون إلى كندا دون تأشيرة ولكن الأمر الآن تغير، وأضافت بأنه يجب علينا الحصول على التأشيرات من السفارة كجميع المسافرين والداخلين إلى كندا. فشرحت لها صعوبة ذلك، فقالت: أعطني جواز سفرك، وقامت بتعبئة إيصال، ثم أعطتني نسخته الأصلية وقالت: عليك بالعودة من الجانب الآخر إلى أمريكا التي تبعد كما ذكرت سابقاً نحو 30 متراً، فعدت إلى

السيارة وأخبرت الأهل بأنها قالت: يجب أن آخذ التأشيرة من السفارة، وعدت إلى البوابات الأمريكية حيث طلب مني الموظف الجوازات وقال: عليك بإيقاف السيارة والنزول. أوقفت السيارة وعدت إليهم فطلبوا مني الانتظار.. انتظرت تقريباً 45 دقيقة، وكل من جاء بعدي أنهى إجراءاته وذهب. وفجأة نادوا اسمي، فذهبت إليهم، إلا أن الموظف ذكر لي بأنهم لا يستطيعون السماح لي بالدخول. عندها تراجعت وقلت له ماذا تقول، أنا لم أخرج من أمريكا.... فقاطعني وهو مستغرب وقال: لكونك خارج هذه البوابات فأنت خارج أمريكا، فقلت له بعد حوار (طرشان): لماذا لا تستطيع أن تسمح لي بالدخول؟ قال: أولاً: التأشيرة على وشك الانتهاء، وكان قد بقى لها مدة 17 يوماً فقط.. ثانياً: جواز سفرك أيضاً تبقى له خمسة أشهر وينتهي، في حين أنه يجب ألاّ تقل مدته المتبقية عن سنة ونصف للسعوديين لكي يستطيعوا السفر بجوازاتهم. قلت له: إن النظام يقول بأنه لو لم يتبقَ سوى يوم واحد على انتهاء التأشيرة فإن المسافر يستطيع أن يدخل أمريكا. لم يرد عليَّ وذهب وتركني.. حاولت أن أتكلم معهم ومع أكثر من موظف دون جدوى. استمر الحال مدة ثلاث ساعات وكنت قد طلبت من الأهل أن يتركوا السيارة وينتظروا معي في الصالة. عندها خطر على بالي فيلم الحدود لدريد لحام.

وقد كنت أستجدي من يسمعني إلى أن جاءت موظفة، وبمساعدة زوجي أخبرتها بأني لم أدخل كندا، عندها أبدت استغرابها وسألتني: هل أعطوك ما يثبت بأنك لم تدخل كندا؟ فأريتها الورقة التي كانت معي، وعندما قرأتها دار حديث مطول بيني وبينها خلاصته أنهم لا

يحسنون التعامل معنا نحن السعوديين، وأنهم يتمنون أن يجدوا أي هفوة لكي ينالوا منا، وختمت حديثنا بقولها: أتمنى ألاّ أراك ثانية هنا، فقلت لها: سوف أكون سعيداً جداً لو قدر لي أن أعود وأوراقي كاملة على ألاّ أجدك أنت أيضاً هنا.

خرجت أنا وعائلتي وقد أحسسنا بهلع وخوف كبيرين من تلك التجربة التي أصابتنا بالرعب من كل ما يشير إلى كندا، فقد كنا نسير في شوارع مدينة نياغرا فولز وعند رؤية أو قراءة أي لوحة تشير إلى كندا أسمع صياح وضجيج الأهل في السيارة (لا لا... انتبه يا بابا..... هذا الطريق يؤدي إلى كندا)، ولكن في اليوم التالي قررت نسيان تلك التجربة المريرة، وحجزت لهم مع إحدى الرحلات التي تتجول وتتعرف على أغلب مناظر النهر والشلالات.

وقبل التطرق للرحلة دعونا نتعرف على شلالات نياغرا، فقد كنت حريصاً على أن أزور كل معلم سياحي في أمريكا بهدف الاطلاع، وللتفكر والتأمل في خلق الله. فشلالات نياغرا تدفعك تلقائياً للتسبيح بقدرة الله الخالق القادر العظيم. فهي تقع في منتصف نهر نياغرا الذي يجرى على الحدود بين كندا والولايات المتحدة، إذ يبلغ طول النهر 54.5 كم، ويصل ما بين بحيرة إيري في الجنوب وبحيرة أونتاريو في الشمال، وفي وسط النهر توجد جزيرة كاوت التي تقسم الشلالات إلى جزأين.. الجزء الأصغر من الشلالات يوجد في الولايات المتحدة ويسمى بشلال أمريكا، وارتفاعه ثمانية وخمسون متراً، وعرضه

ثلاثمئة وعشرون متراً، ولكن الجزء الأكبر منه موجود في كندا ويعرف باسم (هورس شوز) أو حذوة الفرس، ويبلغ عرضه ما يقرب من830 متراً، وارتفاعه ستة وخمسون متراً، وقد حفرت المياه الهابطة في الصخور وشكلت شكلاً يشبه بالفعل حذوة الفرس. وقد استخدمت هذه الشلالات الطبيعية في توليد الكهرباء مما شجع على نمو الصناعة. وبسبب موقعها المتميز فإن هذه الشلالات الكبيرة تعد من أجمل وأشهر الشلالات في العالم. كما تعد في الوقت نفسه واحدة من أهم الأماكن السياحية في العالم التي يتوافد عليها مئات الآلاف من السياح. وهي محاطة بالمرافق السياحية وبالمسارح ودور السينما والمطاعم ومدن الألعاب وأهمها Marine Land حيث العروض الحية للحيتان القاتلة التي تعتبر تجربة فريدة من نوعها، التي تقع على الجانب الكندي. وفي الجانب الأمريكي موقع روك هاوس حيث يتوجه الزوار في مصاعد تهبط بهم إلى ممرات خاصة منحوتة في الصخر إلى أن يصلوا إلى موقع خلف الشلالات مباشرة. ويتم توفير ملابس واقية من البلل، ويشاهد الزوار كمية كبيرة من الماء المتدفق وقد نحتت الشلالات الأمريكية فجوة شهيرة تسمى كهف الرياح.

obeikandl.com

نعود إلى رحلتنا فقد ذهبنا في صباح اليوم التالي وكلنا شوق لتلك الرحلة، فقد كان الموعد الساعة الثامنة صباحاً حين ركبنا الحافلة وتوجهنا في جولة تعريفية حول النهر، فقال لنا المرشد السياحي: هذه هي منابع النهر.. وهذه بعض المولدات الكهربائية التي تعمل على

النهر. توجهنا بعد ذلك إلى حيث المتعة، حيث تتجلى قدرة الله سبحانه وتعالى. وفي البداية تم إلباسنا معاطف تقي من البلل، وذكر لنا المرشد السياحي أننا سوف نتوجه إلى الأسفل، وكنا ساعتها نطل على النهر وهو يجري من خلال ارتفاع يقارب الأربعين متراً.. ركبنا المصعد ونزلنا إلى حيث كان الأمريكان القدامى (السكان الأصليون لتلك المنطقة) يسلكونه للوصول إلى ضفة النهر، ومنه إلى قرب مصب الشلالات التي هي في الجانب الأمريكي طبعاً.. كان ما يصلنا هو الرذاذ وبعض الماء بعد ارتطامه بالصخور التي توجد على ضفاف النهر.. كم كان المنظر رائعاً رغم برودة الماء ونحن وقتها كنا في الصيف. استمتع

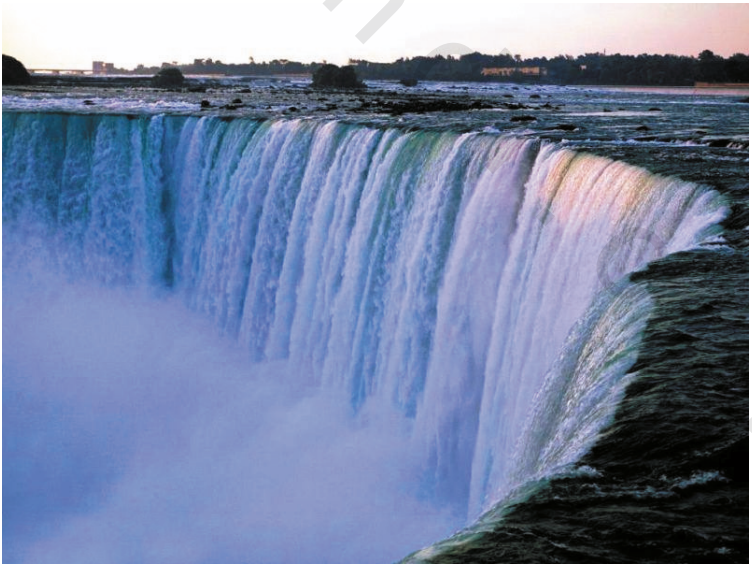

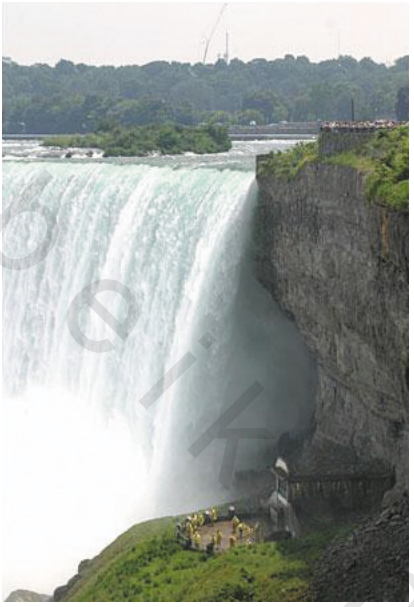

الأطفـال بقـوة المـاء ورذاذه الذي يصل إلى عـشـرات الأمـتـار، وبعدها عدنا إلى الأعلى وتناولنا طعـام الغـداء ثم ذكـر المرشـد أن هناك رحلة سوف نقوم بهـا إلى حذوة الفرس.

أخذنا بعدها مدة للتنزه، فتم التجمع للنزول إلى ضفة النهر، عندها صعدنا مصاعد كهربائية إلى أن وصلنا إلى ضفـة النهـر، وكانت هناك قوارب أخذتنا في رحلة دامت حوالي 45 دقيقة. وذكر لنا المرشـد السـيـاحي أننا سـوف نذهب إلى حـيث مـسـقط الشـلالات الكندية، وعند اقـتـرابنا منهـا بدأت الأمـواج تتـلاطم من حـولنا، وبدأ الرذاذ يصلنا حـتى إنني قـمت بإغـلاق آلة تصـوير التي كنت أحـملهـا لتصوير قدرة الله سـبحانه ومنظر تلك الشـلالات.. اقـتربنا إلى درجة كـاد الموج أن يغـرق بنـا القـارب.. تبللنا من ذلك الـرذاذ حـتى النخـاع، ولكن كانت ثمة متعة لا توازيها متعة رغم برودة المياه. عدنا بعدها قبل غـروب الشمس إلى ضفـة النهـر ومن ثم إلى الأعلى ومنهـا إلى الحـافلة والفندق.

في اليوم الثالث قررنا أن نذهب إلى التسوق وبعض أماكن الألعاب والملاهي، كان الجو غايةً في الجمال.. فقد استيقظنا مبكراً.. وفي التاسعة ذهبنا إلى بعض المراكز التجارية للتسوق.. استمرت جولتنا حتى موعد الغداء. وبعد أن تناولنا غداءنا عدنا إلى مركز المدينة.. كان هناك منطاد في وسط مدينة الألعاب، فقررنا أن نصعد فيه. ورغم تخوف بعض أفراد العائلة إلا أننا قررنا الصعود ورؤية المدينة والشلالات من أعلى.. صعدنا إلى المنطاد، وشعرت بالثقة لأن المنطاد

كان متصلاً بحبل، والحبل مربوط بقاعدة في الأرض بحيث ينطلق المنطاد إلى ارتفاع محدد ويثبت عند ذلك المستوى مدة معينة ثم يتم سحب٢٣٩ إلى الأسفل بوساطة ذلك الحبل.

وأخيراً وفي اليوم الرابع قررنا أن نقوم بجولة على طول النهر من أعلى، فقد كان هناك طريق بمحاذاة النهر.. وبعد الظهر قررت العائلة العودة مرة أخرى للاستمتاع بما قمنا به في اليوم السابق.

❀ ❀ ❀

ديترويت والجاليات العربية

كنا قد نوينا في بداية رحلتنا إلى شمال أمريكا وبالتحديد إلى نياغرا فورس أن نمر في طريق عودتنا على مدينة ديترويت التي تقع في ولاية ميتشغان، ولكن قبل أن أتطرق إلى رحلتنا دعونا نتعرف على تلك المدينة التي تنفرد بخصوصية تامة عن جميع مدن أمريكا الباقية.

فقد نجح العرب على غير العادة في إيجاد عاصمة موحدة حرة لهم في أمريكا، وتعتبر ضاحية ديربورن بمدينة ديترويت بولاية ميتشغان بالولايات المتحدة هي العاصمة العربية للعرب في الولايات المتحدة الأمريكية، فهذه البلدة تمثل أكبر تجمع عربي خارج الدول العربية؛ إذ يقطنها تقريباً 30 ألف أمريكي من أصل عربي، وتبدو وكأنها جامعة الشعوب العربية. إذا سرت على قدميك في أحد شوارع ديربورن ستشعر بأنك في مدينة عربية حيث اللافتات في كل المحلات بأسماء عربية، مثل أدونيس والعجمي، ومحال الأطعمة تبيع كل الأطعمة والحلوى العربية، بل إنك قد تستمع أيضا لصوت الأذان يرفع من أحد مساجد المدينة. وقد شعرت بالاندهاش وأنا أسير في

ديربورن عندما استمعت لصوت أذان صلاة الجمعة لأول مرة بعد أن نجح الأمريكيون العرب والمسلمون في مدينة ديترويت حيث تقع ديربورن في إصدار موافقة من مجلس المدينة على أن يعلو صوت الأذان عبر مكبرات الصوت ثلاث مرات يومياً... وإنه لنصر عظيم.

تعد بلدة ديربورن ثاني أكبر ضاحية في مدينة ديترويت بولاية ميتشغان، ويوضح يوسف بيضون ـ الأمريكي اللبناني الأصل، ومساعد عمدة ديربورن وضابط الاتصال بين المواطنين والعمدة ـ أن الأمريكيين العرب يمثلون أكثر من 30٪ من مواطني ديربورن التي تعد ثاني أكبر بلدة من حيث الحجم في ديترويت، كما تعد من أغنى المدن في ميتشغان. وقد سميت ديربورن نسبة لاسم الجنرال هنري ديربورن الذي اشترك في الحرب الأهلية الأمريكية. ويقول يوسف بيضون إنه أول أمريكي عربي يعمل في منصب نائب العمدة، مما يعكس مدى قوة الجالية العربية في البلدة. ويضيف أن ديربورن بالتحديد اجتذبت العرب لوجود مصانع فورد للسيارات التي كانت توظف العمال العرب بها في العشرينيات من القرن العشرين، وزاد عدد المصريين بشكل ملحوظ في التسعينيات داخل أمريكا، التي وصلها ما يقارب 64 ألف مصري ليزيد عدد المصريين من 79 ألفاً عام 90، إلى 143 ألف عام 2000 بنسبة 82٪.

وتتركز نصف الجالية العربية في خمس ولايات فقط هي: كاليفورنيا، وفلوريدا، وميتشغان، ونيوجيرسي، ونيويورك.. إلا أن ولاية ميتشغان على وجه الخصوص - حيث توجد ديربورن - إنما تحظى

بأهمية خاصة، حيث يبلغ العرب نسبة 2.1٪ من كل المقيمين فيها، يتمركزون في مدينة ديربورن (30٪)، وهي أعلى نسبة تمركز عربي في كل المدن الأمريكية على الإطلاق. 80٪ من عرب في أمريكا يمتلكون بشرة بيضاء ويعدون أنفسهم من الجنس الأبيض وليس الأسود. ويركز عدد كبير منهم على الأعمال التجارية والمهنية، مثل العمل كأطباء ومهندسين ومحامين وصيادلة. ويبتعدون إلى حد ما عن المقاولات والوظائف الحكومية والزراعية والصيد.

ولو رجعنا إلى تاريخ الهجرات العربية إلى الولايات المتحدة لوجدنا أنها قد بدأت في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وكان معظمها من التجار المسيحيين في لبنان وسوريا لأسباب اقتصادية، ولكن صدر قرار بمنع الهجرات من خارج أوروبا إلى أمريكا من عام 1925 إلى عام 1948، وبعد ذلك تم إلغاء القرار لتعود الهجرات العربية ولا سيما من الفلسطينيين والمصريين. وزادت نسبة الهجرات في الستينيات حتى التسعينيات بسبب حرب 67، والمشكلات الاقتصادية، والحرب الأهلية في لبنان، والمشكلات في العراق، وحرب الخليج الأولى مع إيران. وقبل عام 1960 كان نحو 90٪ من المهاجرين العرب من المسيحيين، ولكن بعد ذلك زادت نسبة المسلمين العرب المهاجرين، وإن استمرت هجرة الطوائف المسيحية المارونية من لبنان، والقبطية من مصر والكلدانية من العراق. وإذا كنت لم أتطرق إلى عدد المساجد في أمريكا، إلا أن الشيء بالشيء يذكر، فقد بلغ عدد المساجد تسعة ومئتين وألف مسجد.. ويعد عام 80 وما بعده العلامة

الفارقة التي دلت على زيادة هذا العدد من المساجد بنسبة 62٪. ويوجد في 20٪ من تلك المساجد مدارس.. إلا أن عدد الأمريكيين المسلمين العاملين في المجالات المتصلة بتشكيل الرأي العام لم يتعدَ 1٪ بصفتهم صحفيين، 8٪ محامين، 6٪ فنانين.

وعمدة المدينة آنذاك هو مايكل جايدو، وقد أعيد انتخابه على مدى تسعة عشر عاماً ماضية، وهو من أصل إيطالي ولديه شعبية كبيرة بين الجالية العربية حتى إنه فاز على منافسه العربي الأصل في الانتخابات الماضية. ويعترف السيد جايدو بأنه قد ساده شعور بالقلق بعد أحداث 11 سبتمبر، خوفاً من ارتكاب حوادث انتقامية ضد الأمريكيين العرب في ديربورن.. ولكنه ـ كما يقول ـ لم يواجه مشكلات لأن أهالي المدينة يحبون العيش في سلام وقد اعتادوا على العيش بين جنسيات مختلفة ولا سيما العرب منذ مدة طويلة من الزمن.

ويوضح بيتر بترافوش ـ نائب رئيس تحرير صحيفة ديترويت فري برس Detroitfreepress (وهي الجريدة الأولى في ديترويت وتوزع 360 ألف نسخة يومياً) ـ أن لديهم محرراً متخصصاً في تغطية أخبار الجالية الأمريكية ذات الأصل العربي في ديربورن، ويعمل في الجريدة صحفيان من أصل عربي كما أن لديهم أربعة مراسلين في العراق (آنذاك). ويضيف أن عدداً كبيراً من الأمريكيين العرب وصلوا إلى مراكز مرموقة في ديربورن. فمثلا رئيس جهاز الإطفاء في المدينة أمريكي من أصل عربي. كما أشار إلى أن الجالية العربية كانت منغلقة

على نفسها حتى التسعينيات، ولكنها بدأت أخيراً تحاول تغيير نمط التفكير السائد حولها وتنغمس بشكل أكبر في المجتمع. فبعد أحداث سبتمبر جاء الكثيرون من محققي وكالة التحقيقات الفيدرالية FBI إلى ديربورن للتحري عن الأمريكيين العرب هناك، إلا أن القادة العرب للجالية وحدوا كلمتهم وأعلنوا عن رفضهم لهذا الأسلوب من التفرقة بين الأمريكيين بسبب أصولهم العربية. ويضيف أن الجريدة قامت بإعداد كتيب متوازن يحوي كل المعلومات المهمة في مئة سؤال وجواب عن الأمريكيين العرب. وقد زاد الطلب على هذا الكتيب بعد أحداث سبتمبر من الهيئات والمواطنين. والجدير بالذكر أن ديربورن تعيش فيها واحدة من أقدم الجاليات من أصل عربي، جاءت إلى أمريكا منذ العشرينيات، وهي الجالية الكلدانية (إحدى طوائف المسيحيين العراقيين) حيث يعيش في مدينة ديترويت كلها 100 ألف وبينهم حوالي 5 آلاف في ديربورن وحدها من هؤلاء الكلدانيين المؤثرين سياسياً واجتماعياً، كان معظمهم من المؤيدين للتدخل الأمريكي في العراق بسبب معاناتهم تحت حكم صدام حسين. ولدى هذه الجالية نحو 278 محل بقالة في ديترويت. ويقول دكتور عقيد يوسف ميري ـ رئيس الجمعية الكلدانية العراقية الأمريكية في ولاية ميتشغان ـ إن مصانع فورد كانت توظف العديد من المهاجرين العرب من الشام واليمن والعراق، وقد هرب عدد كبير من الكلدانيين من العراق بعد وصول حزب البعث إلى السلطة، وقد انشئ في ديربورن مقر للجالية في بداية الثمانينيات.

المدير التنفيذي للغرفة التجارية الأمريكية العربية الذي يعمل أيضاً وسيطاً للجامعة العربية شارك في إعداد أول مؤتمر للجامعة في ديترويت منذ أشهر عدة (حضر المؤتمر عدد من المسؤولين العرب ورؤساء شركات أمريكية يمثلون 15٪ من الاقتصاد الأمريكي ـ يقول إنه يحاول إيجاد جسر بين الجالية العربية في أمريكا والدول العربية، ويتم كذلك تنظيم رحلات لعدد من الشخصيات الأمريكية المؤثرة إلى دول عربية في محاولة لتغيير الصورة المشوشة عن العرب. كما يتم تنظيم مهرجان عربي في شهر يونيو سنوياً ليتعرف أبناء الجالية على العادات والثقافة العربية. وتصدر الجالية العربية في ديربورن مجلة (السبيل) وتوزع 5 آلاف نسخة، ومجلة (جسر الجاليات) وتوزع 30 ألف نسخة، و(المنتدى والوسيط) 15 ألف نسخة. ويطالب المدير التنفيذي للغرفة التجارية الأمريكية العربية بمشاركة رجال الأعمال العرب بشكل أكبر في شراء وسائل إعلام أمريكية ولا سيما محطات التلفاز، على غرار ما فعله المليونير اليهودي الأسترالي روبرت مردوخ، الذي اشترى محطة فوكس نيوز. ويؤكد أيضاً على أن الدولار الواحد يدور 90 مرة داخل الجالية اليهودية قبل أن يخرج من أيديها إلى أيد غير يهودية في أمريكا، بينما يدور الدولار مرة ونصف المرة فقط في الأيدي العربية!

ويشير إلى أن هناك محاولات ناجحة حالياً لإقامة متحف في ديربورن للأمريكيين العرب بكلفة 15 مليون دولار، يهدف إلى أن يتعرف الجيل الجديد على تاريخ أجداده ويفتخر به. ويوضح المدير

التنفيذي للمركز العربي للخدمات الاقتصادية والاجتماعية **Acces** أنه تم جمع تبرعات بقيمة 14 مليون دولار لإقامة المتحف الذي سيسهم في تغيير صورة العرب وسيوضح للشعب الأمريكي مدى إسهام العرب الأمريكيين في المجتمع منذ جاء أول عربي إلى أمريكا في القرن السادس عشر.

والجدير بالذكر أن أول عربي تطأ قدماه القارة الأمريكية الجديدة كان منذ 500 عام من المغرب، وأطلقوا عليه لقب (الزامور الأسود) ـ من الزامور (المغرب حالياً) ـ كان الرجل عبداً سافر مع أحد البعثات الإسبانية بعد أن احتلت البرتغال المغرب في أوائل القرن السادس عشر، عندما اتفقت مع الإسبان على تزويدها بالعبيد الأفارقة للسفر إلى فلوريدا والمكسيك ومنتصف القارة الأمريكية. وعمل (إيستيفانيكو) – كما أطلقوا عليه – عبداً لأندريه دورانتيه المكتشف الإسباني لمدة 16عاماً.

ومن المرجح أن إيستيفانيكو كان مسيحي الديانة، لأن الإسبان كانوا يرفضون تماماً سفر المسلمين إلى القارة الجديدة، ويقللون عدد المسيحيين العرب خوفاً من انقلابهم عليهم وانضمامهم إلى الهنود الحمر، وكان يشار إلى إيستيفانيكو في مذكرات المكتشفين الإسبان على أنه (النيجرو العربي) أو (الأسود العربي) الذي وصل إلى المكسيك عام 1528، وظل على قيد الحياة على الرغم من وفاة معظم من كان معه على السفينة! وظل يحاول التوسط بين الهنود والإسبان وعمل طبيباً إلى أن تم قتله في ظروف غامضة عام 1839 على يد الهنود على الأغلب.. وهناك تمثال له في مدينة الباسو بالمكسيك.

ربما كان إيستيفانيكو أو (زاموري) أول العرب، لكنه ليس آخرهم.. فقد أتى بعد ذلك عدة ملايين من العبيد في الأربعمئة عام التالية وتم إجبارهم على العمل وإعطاؤهم أسماء جديدة تختلف عن أسمائهم العربية لفك أي ارتباط لهم مع أهلهم الحقيقيين..

وهناك سجلات تدل على بدء وصول عبيد عرب مسلمين منذ عام 1717، ولكن عددهم قليل.. ولعل أشهرهم (بن علي) الذي حارب في الحرب الأهلية مع الشمال وغير اسم عائلته إلى (بنيناهلي)، وعمل ابنه في الجيش الأمريكي الفيدرالي، وكذلك (عمر بن سعيد) الذي درس القرآن في المغرب، وجاء كعبد إلى أمريكا. إلا أن حاكم ولاية كارولينا الشمالية أعتقه بسبب مستوى تعليمه الجيد وذكائه. وفي نهاية القرن الثامن عشر وبعد مئتي عام على وصول أول عربي قرر مجلس نواب كارولينا الجنوبية اعتبار العرب المغاربة الموجودين في المقاطعة أمريكيين لهم حقوق البيض نفسها، بعد أن تزايدت حالات التمييز العنصري ضدهم. وكانت المغرب أول دولة عربية اعترفت بأمريكا، كما كانت أول سفارة عربية بأمريكا لسلطنة عمان عام 1830. ويبلغ عدد الأمريكيين من أصل عربي 490 ألف في ولاية ميتشغان، و405 ألف في نيويورك، و255 ألف في فلوريدا و240 ألف في نيوجيرسي، و220 ألف في إيلينوي، و210 ألف في تكساس، و185 ألف في أوهايو، و175 ألف في ماساشوتس، و160 ألف في بنسلفانيا، و135 ألف في فيرجينيا، وأعداد أخرى متفرقة في ولايات أخرى، حيث يبلغ مجمل الأمريكيين العرب نسبة مليونين من 280 مليون أمريكي..

وأغلب العرب من لبنان 51٪، وسوريا 14٪، ومصر 12٪، وفلسطين 9٪، والأردن والمغرب والعراق بنسبة 3٪ لكل دولة، والباقي من اليمن والأكراد والجزائر والسعودية وتونس والكويت وليبيا والبربر.

❀ ❀ ❀

المأكولات العربية

بعد هذا السرد التاريخي عن مدينه ديترويت وتاريخ العرب بها وبأمريكا، أعود إلى رحلتنا العائلية، فقد كنا مشتاقين إلى رؤية المطاعم العربية وتناول الوجبات العربية اللذيذة. فقد وصلنا إلى المدينة في حوالي الثالثة عصراً، وكنت قد حجزت في فندق بوسط المدينة.. الأمر الذي كان يحتاج منا بعض الوقت للوصول إليه.. أخذنا قسطاً من الراحة.. وقمنا في اليوم التالي بالتجول في المدينة. ومع اقتراب غروب الشمس بدأنا نفكر في الطعام العربي.. حاولت الوصول إلى الحي العربي دون جدوى. فقررت أن أسأل بعض المارة. وعند إحدى الإشارات المرورية التفت يميني فإذا بي أرى في السيارة المجاورة امرأة تبدو عليها الملامح العربية وترتدي الحجاب، فقررت أن أسألها وزوجها عن الحي العربي بالمدينة، فإذا به يجيبني بالعربي ويقول: اتبعني، عندها قلت للأهل: فرجت. وبعد حوالي 25 دقيقة تقريباً وصلنا إلى الحي العربي. لقد كان الأخ العربي الذي اصطحبنا إلى الحي العربي من اليمن الشقيق. دعانا الرجل إلى بيته فذهبنا

معه، وأصر على أن نتناول طعام العشاء معه.. شكرته واعتذرت له، وتوجهنا فوراً إلى المطاعم العربية حيث رائحة الكباب والشاورما. وفي شارع آخر كانت هناك بعض المأكولات الشعبية مثل الفول واللحم المندي. ففي هذه المنطقة تعيش جالية يمنية كبيرة، وهم من يقومون بعمل تلك الوجبات. قمت بشراء عشاء منوع من الكباب ولحم المندي وبعض المقبلات، ثم توجهنا بعدها إلى الفندق لنتناول طعام العشاء. لقد قضينا ثلاثة أيام كان الدافع والرغبة الأولى قبلها هي زيارة ديترويت.. حيث شوقنا للطعام العربي.

❀ ❀ ❀

الرعب في شوارع شيكاغو

وصلنا إلى مدينة شيكاغو قادمين من مدينة ديترويت، وكنت في الطريق قد اتصلت بأحد الإخوة في كاربنديل وطلبت منه أن يحجز لي غرفة في فندق جيد بمدينة شيكاغو عن طريق الإنترنت (price line) لأن هذه الطريقة أقل سعراً مما لو حضرت إلى الفندق بنفسي وطلبت غرفة. وبالفعل قام بحجز الغرفة.. كان وصولنا في وقت جيد، فقمنا على الفور بإنزال الحقائب بالغرفة التي كانت في الدور الـ (16) أخذنا قسطاً من الراحة، ثم ذهبت مع الأهل لشراء بعض الحليب والخبز للأطفال.. تجولنا بالمدينة ثم عدنا للراحة. وفي اليوم الثاني كان الجو بديعاً ومغرياً للخروج.. فقد كنا في شهر أغسطس، لذا قررنا الخروج

مشياً على الأقدام.. كان ذلك قبل العصر بقليل، واصلنا المشي أنا وزوجي والأولاد والبنات، ولم نحس بطول المسافة، فحركة المدينة صاخبة وطول الأبنية والحركة المرورية جعلت من التجول متعة، وكذلك روعة الجو لم تجعلنا نشعر بطول المسافة، على الرغم من توافر بعض العربات التي تجرها الخيول الجميلة المزينة بتلك الزينات الجذابة. طلب الأطفال ركوب عربة من هذه العربات.. ولكن انتصر رأي الأغلبية.. المشي. فقد كانت الخريطة معنا وكنا نسير على هديها، وكان هدفنا هو الذهاب إلى نيفي بير ـ وهو متنزه يحفل بألعاب الأطفال ـ فلم تكن المسافة بعيدة لمن أراد الذهاب سيراً على الأقدام. المهم.. أننا وصلنا المتنزّه واستمتعنا كثيراً. كانت هناك قوارب عدة للنزهة مما دعى الأطفال إلى طلب الخروج في نزهة بإحدى القوارب. وبالفعل اشترينا تذاكر القارب التي كانت على ما أتذكر عشرة دولارات للكبير، وخمسة للطفل. كانت الرحلة جميلة، فهي تطلعك على منظر شيكاغو من الشرق، وكان الوقت قبل المغرب، وياله من منظر.. منظر الشمس وهي تغرب خلف ناطحات السحاب.. غاية في الجمال. خلال الرحلة التي استمرت (45) دقيقة تعرفت على أحد الإخوان العرب.. كان رجلاً مسناً.. قدم إلى شيكاغو للنزهة بصحبة ابنته وأطفالها، ذكر لي أن ابنته مغتربة مع زوجها الذي يعمل في التجارة، وأضاف الرجل أن الأوضاع قد تغيرت عليه؛ فقد قدم إلى أمريكا مرات عدة لزيارة ابنته، ولكن في تلك المرة لاحظ تغيراً كبيراً في المعاملة في المطارات من عملية الاستهداف في التفتيش والتركيز على نوعيات معينة من

المسافرين! قال لي: إن ابنته وزوجها تعرضا لمضايقات في المدينة التي يعيشان فيها وهي خارج ضواحي شيكاغو. كل ذلك بعد أحداث11 سبتمبر.

استمرت رحلتنا البحرية مدة (45) دقيقة، وبعد عودتنا إلى المتنزه كان هناك بعض الألعاب التي ودَّ الأطفال أن يلعبوا بها، فقمت بشراء بعض المشروبات لهم وتناولنا بعض الأطعمة إلى أن حان وقت العودة.. وغربت الشمس وبدأ البرد يزداد.. عم الظلام المكان.. وبدأت أنوار ناطحات السحاب تتلألأ، فأسرعنا بالعودة، ولكن الظلام كان أسرع، وبدا المنظر مخيفاً جداً، وبدت الشوارع في البداية مزدحمة بسبب خروج أغلب المتنزهين من النيفي بير.. وكان خروج الأغلبية مشياً وفي اتجاه عمودي نحو مركز المدينة. كان الفندق في مركز المدينة الجنوبي، فقررت أن آخذ الطريق الذي يشكل زاوية قائمة على الخريطة خوفاً من الدخول في مغامرة، وتماشياً مع أغلب الخارجين، إلا أن الشوارع بدأت تخلو من المارة، وغطى الهدوء المكان، ولف الشوارع الغموض والخوف.. كنا نمر من تحت أنفاق مخيفة موحشة جداً.. وكانت أصوات القطارات تشعرنا بالرعب فنسرع خطانا.. شعرت ساعتها أن تلك المسافة هي أطول مسافة في حياتي مشيتها، رغم أنها كانت في البداية قصيرة وجميلة جداً! كنت أشعر بالقلق على أسرتي من دهاليز تلك الظلمات، فكنا نمر على حانات وأناس ملقين على الطرقات بصورة مخيفة جداً.. كان الخوف ينتابني على الأطفال، ولم أتنفس الصعداء إلا بعد أن رأيت الفندق. وأخيراً بدوت أكثر اطمئناناً وأخذت

نفساً عميقاً، وحمدت الله كثيراً على سلامة وصولنا، فلقد كانت تجربة مخيفة، وتجربة لا تنسى في شوارع شيكاغو. ولكن لا أخفي حلاوة تلك التجربة على الرغم من خطورتها.. وعلى الرغم من أننا وقبل قدومنا إلى شيكاغو كنا قد تلقينا التحذيرات من عدم الخروج بعد المغرب.. لكنها كما ذكرت كانت مغامرة.

❀ ❀ ❀

رحلة البحيرة Reed lack

كنا في مدينة كاربنديل مجموعة من الأخوة (عائلات وعزاباً) نجتمع كل يوم سبت في بيت واحد منا نتسامر ونتجاذب أطراف الحديث عن أفراحنا وأتراحنا.. كنا ولله الحمد نجتمع على القرآن الكريم.. تلاوةً وتفسيراً، وكان هناك أحد الإخوة يسكن معنا في كاربنديل، ثم نقل إلى فرع الجامعة بمدينة أخرى. وفي أحد الأيام قررنا أن نقوم برحلة إلى بحيرة تبعد عنا مدة ساعة ونصف تقريباً، فقمنا بالتنسيق مع صديقنا هذا ليقابلنا هناك. خرجنا صباح السبت ووصلنا إلى الموقع، وتمكنا من حجز مكان جيد على شاطئ البحيرة. كانت البحيرة رائعة، وكان المكان ممتازاً وهادئاً، فتقاسمنا المهام في الطبخ وجميع الأنشطة، ورأى أحد الإخوة أن نقوم باستئجار قارب لنتجول به في البحيرة، وافقنا جميعاً على الفكرة، وذهب اثنان منا

وقاما باستئجار القارب، وكنا نحن من يتولى القيادة. ركبنا جميعاً.. الرجال والأطفال، وأخذنا نصف الساعة تقريباً نتجول في البحيرة، وعدنا إلى الشاطئ وكان قد بقي على الوقت اللازم لتسليم القارب عشرون دقيقة. لم أكتفِ بذلك بل قمت باصطحاب عائلتي كلها هذه المرة، وقمنا بجولة داخل البحيرة، حيث نزل الإخوان وصعد أبنائي وزوجي وتحركنا مستمتعين بالماء وأجواء البحيرة.. كنت أسير بسرعة خفيفة لكي نستمتع بالبحيرة ولكي لا يحصل مكروه لا قدر الله. وفي غمرة استمتاعنا تفاجأت بأن المحرك الخاص بالقارب قد توقف، فلم ينتابني خوف والحمد لله؛ فثقتي بالله كبيرة. الأمر لا يحتاج إلى شيء سوى إعادة تشغيل المحرك، فأعطيته فرصة قليلة ثم أعدت تشغيله.. قمت بفعل ذلك إلا أن الأمر لم يتم كما توقعت، تركته مدة.. حاولت ألاّ يبدو علي أي ارتباك حتى لا أخيف الأهل ولا أسبب لهم أي توتر، ثم أعدت تشغيل المحرك دون جدوى.. كررت ذلك مرات عدة، عندها بدأ الخوف يدخل قلبي.. فأنا بعيد عن الشاطئ والإخوة يعتقدون أنني مستمتع.. كنت قد تركت جهازي المحمول على الشاطئ خوفاً من أن يبتل بالماء.. كان همي ألاّ أشعر الأهل والأطفال بصعوبة الموقف، وأن أهون الأمر عليهم، وبعد مدة لاحظ الإخوة أن توقفي قد طال، فأشرت لهم بأن يرسلوا لي أحداً ليشغل المحرك. وبالفعل.. أرسلوا قارباً آخر، واشتغل المحرك وعدنا إلى الشاطئ. ولا أخفيكم سراً.. فقد خفت كثيراً على الأولاد؛ فهم لا يسبحون بشكل جيد، على الرغم من وجود

أدوات السلامة. ولكنها كانت مغامرة.. وفي الوقت نفسه متعة.. عدنا إلى الشاطئ واستمتعنا وكانت رحلة لا تنسى.

❀ ❀ ❀

بعض المفارقات

ولادة ابني حسام:

ثمة مفارقات كانت متوقعة.. إلا أنها كانت مفاجئة لي.. ولا سيما في ذلك الوقت وفي تلك المدة الصعبة. الأمر كان ببساطة هو تأدية دور والقيام به على أحسن وأكمل وجه. فقد كانت زوجي حاملاً، وطيلة مدة حملها (نهاية 2002 وبداية 2003) كانت تتابع مراجعاتها الصحية مع طبيبة نساء وولادة، وكان الوضع طبيعياً حتى قرب ولادتها، فقد تم تحديد يوم الولادة التقريبي. وقبل يوم الولادة كانت زوجي قد تحدثت مع الطبيبة وطلبت منها أن تشرف على ولادتها بنفسها وذلك لأنها هي الطبيبة الوحيدة بين العديد من أطباء الولادة. وافقت الطبيبة، ولكن كان لديها مؤتمر سوف تحضره في مدينة سان لويس بولاية ميزوري، وقد لا تكون متواجدة في المدينة ساعة الولادة.. أحست زوجي بالخوف وتمنت أن تتمكن من الولادة قبل أو بعد ذلك الموعد. ولكن الله أراد غير ذلك، ففي مساء الرابع من إبريل كان لدينا تجمع في المركز الإسلامي بالمدينة، وكنت حاضراً ذلك التجمع.. وفي

obeikandl.com

تمام الساعة الحادية عشرة عدت للبيت وتفاجأت بزوجي تنتظرني وتقول: علينا الذهاب إلى المستشفى لإحساسها بقرب الولادة. أخذتها إلى المستشفى وتم إدخالها سريعاً إلى غرفة الولادة، وكنت قد سألت عن الدكتور المناوب فقالوا لي بأنه رجل، فقلت لهم: أليس بالإمكان أن تتصلوا بالطبيبة، فقالوا: إنها ليست هي المناوبة وإنهم لذلك لا يستطيعون الاتصال بها. وتحت إصراري تعاطفت معي إحدى الممرضات وقامت بإعطائي رقم هاتف الطبيبة في المنزل، وطلبت مني عدم إخبارها بمن أعطاني الرقم. وعدتها بذلك واتصلت بالطبيبة على الفور.. فرد عليّ زوجها.. قلت له: إنني أود أن أتحدث إلى السيدة (كوفر) قال لي: إنها خارج المدينة ولن تعود إلا يوم غد، فقلت له: إن الأمر مهم، ورجوته أن يطلب منها الاتصال بي على رقم هاتفي المحمول. وبعد 15 دقيقة تقريباً تلقيت اتصالاً.. كانت المفاجأة.. إنها هي من كانت على الخط. سألتني: «من أنت» قلت لها: «أنا زوج مريضتك التي تتابعين حملها»، وذكرت لها الاسم، فتذكرتها وسألت عن حالتها، قلت لها: «إنها الآن تتواجد في المستشفى وتحتاج إلى مساعدتك، فأنت تعرفين الحالة وتتابعينها، وأرغب في استمرارك معها»، اعتذرت لكونها خارج المدينة وعدم تمكنها من التواجد إلا في مساء اليوم التالي. أبلغتني بأنها سوف تقوم بالاتصال بأحد الأطباء وتبلغه بالحالة وتطلب منه أن يهتم بالأمر، قلت لها: إن رغبتي أن تكون هي معها لاعتبارات دينية. فقالت: «أقدر ذلك ولكن الساعة الآن هي الثانية عشرة صباحاً وهناك صعوبة في ذلك»، فقلت لها: أعلم أن رسالتكم صعبة وأنتم أطباء وتحملون رسالة وأتمنى حضورك. فقالت:

«سأحاول». فور انتهاء المكالمة اتصلت الطبيبة بالممرضات وأوصت بزوجي خيراً. عدت إلى البيت للاطمئنان على الأطفال.. كنت خلالها أداوم على الاتصال بالمستشفى. وفي الرابعة صباحاً عدت إلى المستشفى وإذا بي أفاجأ بوجود الدكتورة كوفر التي أشرفت على ولادة زوجي وهي تبشرني بأن المولود ذكر! وتم نقلها إلى غرفة خاصة، وكانت العناية بها على أعلى مستوى.. فلم تكن زوجي تطلب شيئاً إلا ويتم تلبيته بكل رحابة صدر.. فالعناية فائقة.. وكان المستشفى رائعاً في استقبال الحالة، وفي الابتسامة التي لم تفارق وجوه العاملين بالمستشفى، وكأنهم قد اتفقوا على ذلك! كانت مدة بقاء زوجي في المستشفى من الأيام التي لا تنساها من حسن استقبال وخدمة متناهية وإخلاص واضح في العمل. لقد أثبتوا فعلاً أن مهنتي الطب والتمريض هما من المهن الراقية في كل شيء.. وما زالت زوجي من آنٍ لآخر تعبر عن حزنها كثيراً عندما تذكر حال مستشفياتنا، واللامبالاة، وانعدام الإحساس بالمسؤولية المسيطرة على الوضع داخل تلك المستشفيات وخصوصاً في حالات الولادة.

لم يقتصر الأمر على ذلك؛ إذ لم تقتصر متابعتهم لها وللطفل على مدة تواجدها في المستشفى فقط، بل وبعد خروجها أيضاً! الأمر الذي جعلني أتوجه بخطابي شكر لكل من الطبيبة على موقفها الرائع ولكل الطاقم الطبي المناوب تلك الليلة وقمت بتوجيهه إلى إدارة المستشفى.

❀ ❀ ❀

مواقف حول الحجاب:

قال عمر رضي الله عنه قولة خالدة.. كيف لا وهو من أولئك الأصحاب الذين رباهم المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، قال عمر ابن الخطاب في فتح القدس: (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإذا ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله). ما أردت قوله هو أن المرأة المسلمة قد أعزها الله بحجابها وميزها عن بقية نساء الأرض.

لقد كانت تلك المدة بمثابة ابتلاء للمسلمات والمسلمين في الغرب، فمنهم من تمسك وصبر واحتسب، ومنهم من ترك تلك البلاد وهرب بدينه وعزته، ومنهم من تنازل بل وأمر زوجه أن تنزع الحجاب خوفاً من الشبهة.. أضاعوا الدين والدنيا، غفر الله لهم. أخبرتني زوجي أن هناك إحدى الأخوات التي تتواجد في الجلسات النسائية الخاصة.. متبرجة، فقلت لها: لم لا تنصحينها؟ فاستعانت بالله وتوجهت لها وقامت بالحديث معها عن الحجاب وأهميته وقالت لها: إنها إذا أضاعته فهي لما هو خير أضيع، وقالت زوجي: إنها كانت تبكي وتتحجج.. إلا أنها أقرت أخيراً أن ذلك بناء على توجيهات زوجها خوفاً من الاشتباه فيهم، ومعاملتهم بصورة مختلفة من قبل الآخرين. وبعد محاولات عدة وبعد أن كادت تلين وتقبل على الحجاب، علم زوجها فما كان منه إلا أن أمرها بالابتعاد عن محادثة زوجي وعن حضور التجمعات النسائية التي تحضرها.. إلى أن قرروا الانتقال إلى ولاية أخرى. هذه من المفارقات العجيبة التي كنت أتمنى ألاّ تصادفني. إلا أن الأمر لم يكن يخلو من الطرافة والإحراج في أحيان أخرى،

خصوصاً أن زوجي تشارك في أنشطة داخل مدارس الأولاد بطلب من المدرسات في المدرسة فيقمن برحلات مع الأطفال إلى بعض المزارع القريبة من المدرسة، وقد عملت متطوعة في تلك المدرسة لمدة سنة.. وخلال تلك الزيارات كانت أعين الجميع تقف حائرة أمام حجاب زوجي. ودائماً توجه لها الأسئلة مثل: هل تتنفسين؟ هل لديك شعر؟ هل أنتِ مشوهة حتى تغطي وجهك؟ أعندك ملابس أم إنك تكتفين بهذا السواد لأنك لا تملكين ملابس تحته؟

وذات مرة وفي أثناء تسوقنا قام أحد الأطفال بالصراخ والهلع عندما رأى زوجي، وذهب يجري إلى أن وجد والدته.. عندها قلت لزوجي أن تذهب إلى الأم وتعتذر، وتطلب منها أن تتحدث إلى الطفل.. وبالفعل، قامت بالذهاب إلى الأم واعتذرت لها، وطلبت أن تتحدث مع الطفل، وأخذته وأمه إلى ركن المحل التجاري وقامت بنزع غطاء وجهها للطفل وقالت: إننا نضع هذا الغطاء بناء على أوامر ديننا لنا، ثم توجهت بالاعتذار ثانية للأم والطفل وتركتهما. ولكن المركز التجاري كان واسعا جداً، وكنا كلما نلتقي بهم في الممرات كان الطفل يتوجه لنا بالتحية والابتسامة. أما من كان يعي ويفهم بعض الشيء من الأطفال فقد كان يعتقد أن الحجاب إنما هو مجرد زي تنكري.

وذات مرة استوقفت زوجي طفلة ووجهت لها سؤالاً.. بل اتهاماً، حين سألتها: هل تريدين أن تقتلي نفسك؟؟؟... فما كان من زوجي إلا أن قامت بالتحدث مع الطفلة على مرأى من أمها وقالت لها: لماذا؟ قالت الطفلة: إن الطقس حار ورطب، وهذا قد يؤدي إلى أن تختنقي

وتموتي.. فقد كانت درجة الحرارة 30 درجة تقريباً.. يبدو أنهم لا يعلمون أن في مثل هذا الوقت عندنا في الخليج تصل درجة الحرارة إلى 60 والرطوبة إلى 100 وعليه فإن تلك الدرجة تعتبر لدينا ربيعاً!.

تلك المواقف بلا شك كانت تزيدها قوة وتمسكاً بحجابها حتى اعتاد الجميع عليه وألفوه. وهناك من أعجب واقتنع بالحجاب وفكرة الحماية والأمان الذي تشعر به زوجي وهي ترتديه، وكذلك بناتي فالحمد لله على تلك النعمة التي حفظت نساء المسلمين وجعلتهن أفضل نساء الأرض بتمسكهن بحجابهن.

مطار ليقوا رديا بنيويورك:

في إحدى السفرات إلى أمريكا وبعد أن قضينا إجازة الصيف في السعودية، وبالتحديد في أغسطس 2002، وهروباً من الانتظار على الأقل خمس ساعات في مطار كيندي، كنت قد حجزت عن طريق مطار ليقوا رديا بنيويورك (الذي يبعد مسافة خمس عشرة دقيقة عن مطار كندي) على طائرة الساعة العاشرة صباحاً. وبعد وصولنا إلى مطار كيندي (الساعة السابعة صباحاً)، وبعد إنهاء الإجراءات.. كانت الساعة تقترب من التاسعة. العائلة - ما شاء الله - عددها كبير، والحقائب طبعاً كثيرة.. ولكننا تمكنا من الصعود إلى الحافلة التي تنقلنا إلى مطار ليقوا رديا. وعند وصولنا إلى صالة المطار كان الوقت يسرقنا، وكان خط الانتظار طويلاً، علاوة على أن هناك تجاهلاً من بعض العاملين على الكاونتر.. فقمت بمحاولة التحدث إلى أحدهم

محاولاً إخبارهم أن رحلتي اقترب موعدها، وأن لديَّ حقائب كثيرة.. ولكن دون جدوى، فلم أجد لديهم آذاناً صاغية. وبعد دقائق كان هناك أحد العاملين يسرق النظر، ولكنه كان مشغولاً بأحد المسافرين، وبعد أن أنهى إجراءات ذلك المسافر توجه إليَّ واعتذر عن التأخير، وقام بتوجيه الكلام إلى العاملين وتوعدهم بأنه سوف يقوم بتقديم تقرير بحقهم لعدم تقديمهم الخدمة لي ولعائلتي وتجاهلهم لي، ثم طلب التذاكر والجوازات، وقام باستدعاء موظفة تعمل معهم لكي تتأكد من الجواز الخاص بزوجي والبنات.. وطلب من الموظفة أن تأخذهم إلى زاوية بعيدة عن الناس لكي تتأكد من مطابقة الصور (فعل كل ذلك دون طلب مني)، وبعد الانتهاء أسرع محاولاً الاستعجال في الوقت لكي أتمكن من اللحاق بالطائرة.. ولكن واجهته صعوبة وهي أن وزن الحقائب أكثر من المسموح به.. وعلى ما أتذكر فقد كان الوزن المسموح به هو 75 رطلاً (أي مقدار 30 كج)، بينما كانت أغلب أوزان حقائبي تفوق 110 باوند، عندها استدعاني وقال: لكي لا تدفع مبلغاً كبيراً لخطوط الطيران، فإني أنصحك بأن تشتري حقيبة أو حقيبتين وتفرغ الوزن الزائد من كل الحقائب في الحقيبتين وبالتالي لن تدفع سوى قيمة الحقيبتين التي لا تتعدى 80 دولاراً.. توجهت إليه بالشكر وسألته عن أقرب مكان أجد فيه حقائب، فتوجهت إلى الصالة، وبينما كنت أبحث عن مكان بيع الحقائب سمعت صوته يناديني ثانية ويقول: «لدي فكرة أخرى». قلت: «ما هي؟»، قال: «تعالَ معي»، وتوجهنا ثانيةً إلى

مكتب الخطوط وطلب مني أن أنتظر قليلاً، وفوجئت به يحضر علبتي كرتون من الحجم المطلوب عندهم وأحضر معها لاصقاً وطلب مني نقل بعض محتويات الحقائب إلى تلك العلبتين. وكم كانت دهشتي كبيرة إلا أنني قمت بمحاولة فتح الحقائب لتفريغ الوزن الزائد وإذا به يفاجئني مرة أخرى ويقول: تعالَ عند تلك الزاوية بعيداً عن الناس لكي لا تقوم بفتح الحقائب أمام الناس، ويطلّعون على محتوياتها الخاصة بك وبعائلتك. في الواقع لقد أذهلني ما كان يقوم به ذلك الرجل ولكن لضيق الوقت ورغبة في اللحاق بالطائرة فقد كان همي هو تخفيف بعض محتويات الحقائب لكي أتمكن من اللحاق بالطائرة، فقد كان خياري هو أن أخفف من حمولة تلك الحقائب وإلا سأدفع تكلفة الوزن الزائد الذي كان مرتفعاً جداً.

وبعد ربع الساعة تقريباً تمكنت من تفريغ بعض الأشياء في علبتين من الكرتون، كنت خلال عملية التفريغ أتحدث مع زوجي وأذكر لها موقف ذلك الرجل ودهشتي من تصرفه معنا، ولا أخفيكم فقد فكرت أن أعطي ذلك الرجل بعض المكافأة، فقد وفر علي مبلغاً كبيراً.. ناهيك عن حسن المعاملة، ومراعاة مشاعرنا.. إلا أنني لم أجد وقتها سوى مبلغ كبير، مما دعاني إلى أن أطلب من زوجي أن تقوم بسحب مبلغ من الصراف الآلي إلى حين أن أتمكن من إنهاء إجراءات الصعود للطائرة. وبعد أن استلمت بطاقات صعود الطائرة توجهت بالشكر إلى ذلك الرجل وقدمت له مبلغاً نوعاً من الشكر على ما قام به على الرغم من عدم وجود ما يجبره على ذلك.

obeikandi.com

الدكتورة / كلورا بيكر

Baker, Clora Mae, Associate Professor

بعد أن تم قبولي في برنامج تطوير الموارد البشرية، قمت بتسجيل مواد في التخصص. وللعلم.. لم يكن أحد من الإخوان السعوديين في الجامعة لديه خلفية تامة عن هذا التخصص.. فهو يعتبر تخصصاً جديداً، ولكن كان هناك بعض الإخوة العرب ممن يدرسون في الكلية نفسها والتخصص نفسه. لذا فقد تواصلت معهم لأخذ انطباعاتهم وآرائهم عن بعض المواد، وعن طريقة أساتذة القسم في التدريس. وبالمناسبة فإن أحد الأصدقاء ويدعى سعيد كحيل (أمريكي الجنسية) كان قد حصل على الماجستير في تخصصين مختلفين من الكلية نفسها، وأصبح عندما بدأت الدراسة طالب دكتوراة، وصار نعم العون لي في أغلب الأمور التي لجأت إليه فيها. وأسر لي يوماً بأن سمعة الطلاب العرب في الكلية غير جيدة، وبالذات طلاب المرحلة الجامعية، ودعى لي بأن يعينني الله مضيفاً: «لا التاريخ ولا الوقت معك». بدأت الفصل الدراسي الأول بثلاث مواد، كانت مع أستاذين.. أولهما كان على وشك التقاعد، ولديه من الخبرة ما يساوي ضعفي عمري، كان في تعامله جيداً، ولكنه كان يقسو أحياناً على العرب والمسلمين، وكنت أظن في البداية أنه يحاول استدراجي في الحديث، ولكنني كنت في أغلب الأوقات أرد عليه بدبلوماسية، وأحاول الخروج من الموضوع بأقل الخسائر. تجاوزت ذلك الفصل والحمد لله بتفوق

إلا أنني لم أسجل للفصل الثاني لانشغالي بما حصل من أحداث، ولعدم معرفتي بالنظام. وعندما أردت أن أسجل للفصل الدراسي الثاني، وبعد استشارة الأخ سعيد وجدت أغلب الشُعب قد أغلقت، ولم تتبقَ سوى شعبة واحدة تقوم بتدريسها دكتورة تدعى بيكر. ولم يكن الأخ سعيد قد ذكر لي اسم هذه الدكتورة، لذلك تحدثت مع الأخ سعيد لأخذ انطباعه عن تلك الدكتورة وكيفية العمل معها، ولا سيما أن مادتها في صلب التخصص، ويهمني أن أستفيد منها، وعندما ذكرت له اسمها كأنما نزل عليه الخبر كالصاعقة، وحذرني منها لأنها ـ على حد قوله ـ إمرأة معقدة تكره العرب. ثم أردف واصفاً إياها حتى تمنيت لو لم أسأله. فأجبته بأنني مجبر، وليس أمامي خيار؛ لأن كل الشعب قد أغلقت، وبأنني لا أرغب في التأخر إلى الفصل الأول من العام القادم، لأن المادة أساسية **Core**، وبالتالي إذا لم آخذها هذا الفصل فسوف أتأخر لأنها لا تطرح بالصيف، فقال لي: «لقد حذرتك، فهي تكرهنا وتجاهر بكرهها لنا في كل محاضرة يوجد فيها طالب مسلم أو عربي». تركته وأنا في غاية الحيرة.. فالوضع حساس جداً.. ولكن ليس لي خيار، فعزمت على أن أذهب في اليوم التالي لتسجيل تلك المادة قبل أن تغلق هي الأخرى، وعند التاسعة مساءً، اتصل بي الأخ سعيد وأبلغني بأنه قد وجد مادة أخرى مع أستاذ ممتاز جداً، ولكنني عندما عرفت المادة قلت له: إن هذه ليست من المواد الأساسية في التخصص وإن المشكلة لدي هي في المادة، فإذا لم أدرسها هذا الفصل فسوف أتأخر. فأبلغني بأنها سوف تقرر في الفصل القادم، لكنني قررت أن أستخير الله ثم أتوكل عليه.

وفي اليوم التالي على الفور قمت بتسجيل تلك المادة مع الدكتورة بيكر. وعندما أبلغت الأخ سعيد بذلك، قال لي: أعانك الله وبالتوفيق.

ومع بداية الفصل توجهت إلى مكتب الدكتورة بيكر، وتعرفت عليها وعرفتها بنفسي، وطلبت منها بعض الأوراق عن المنهج وعن خطتها لتدريس المادة، فقالت: إنها سوف تتكلم عن كل هذه الموضوعات في المحاضرة الأولى لكي تعطي الفرصة لكل الطلاب في سماع كل التعليمات، فذكرت لها أنني متشوق لبداية الفصل وأنني قد سمعت عنها كلاماً شجعني أن آخذ المادة معها، على الرغم من أنهم قالوا: إنها دكتورة حازمة وHARD-WORKER.

قالت: «أعتقد أنكم لستم هنا إلا لكي تجتهدوا، وإذا كنت غير ذلك فأرجو أن تحذف المادة»، فقلت في نفسي: «اللهم اكفني شرها بما شئت»، ثم رددت عليها قائلاً: «أنا في مرحلة عمرية لا تسمح لي بالتساهل»، قالت: «لا.. فأنتم العرب شعب كسول ولا تريدون أن تعملوا، وتعتقدون أن كل شيء تستطيعون أن تأخذوه بالمال»، ثم أردفت قائلةً: «يا لكم من أغبياء»، قلت في نفسي: «يا حول هذا من بدايتها وهي داخلة عرض».. ولكن الله المستعان، (ومجبر أخاك لا بطل). قلت لها: «لن تري مني إلا ما يسرك، فردت قائلةً: «I don't think so».

استأذنت منها وخرجت، وبعد يومين قابلت الأخ سعيد وسألني عنها، فقلت له: إن أول محاضرة معها سوف تكون بعد غد، وذكرت له أنني قمت بزيارتها الأسبوع الماضي في مكتبها، وأنني لم أخرج

بانطباع جيد عنها، ثم قلت له إن الله سوف يمكنني منها إن شاء الله، فقال: انتبه، إنها سوف تتعبك بالأبحاث والواجبات، لا لشيء إلا لكي ترسل رسالة لك فتجعلك تتذمر وتحتكّ بها. ومع بداية أول محاضرة معها بدأت بتعريف نفسها ثم قامت ترسل التهديد والوعيد، ثم ذكرت أنها مريضة بالسرطان، وأن الأطباء قد أخبروها بذلك، وأنها ليست خائفة رغم أن الأطباء قالوا لها: إنها ستموت قبل ثلاث سنوات! وفي أي لحظة يمكن أن تموت. كانت بداية غير مشجعة، ولكنها سهام الليل.. فبفضل الدعاء، وبفضل رضا الله، ثم رضا الوالدين.. لم أترك لها فرصة. وكانت قد زودتنا بخطة المادة ومواعيد تسليم الواجبات والأبحاث (تخيلوا كان المطلوب عشرين بحثاً لتلك المادة، شريطة ألا يقل كل بحث عن عشرين ورقة، وأن يقبل منها على الأقل خمسة أبحاث للنشر في إحدى الدوريات العلمية، وأن ينشر على الأقل بحث واحد من هذه الخمسة خلال ذلك الفصل!) كان فصلاً مرهقاً جداً، ولكن الله أعانني عليها، فكنت أسلم الواجبات لها قبل مواعيدها، وأقدم الأبحاث لها قبل أن تطلبها، بل وقبل نهاية الفصل بخمسة أسابيع. وكان الطلاب قد اتفقوا فيما بينهم على أن يحتجوا ويتقدموا لها باعتراض مع الرفض بتقديم عشرين بحثاً، لعدم استطاعتهم أداء ما كلفتهم به، ولأن لديهم موادَ وأعمالاً أخرى، ولكونهم ليسوا متفرغين.. كانت مذكرتهم تتضمن طلب تخفيض عدد الأبحاث إلى عشرة، على أن يخفض عدد الأبحاث المقبولة إلى بحثين اثنين فقط.. (وقد كنت ولله الحمد حتى ذلك الوقت قد قدمت 15 بحثاً، وكان

أقرب الطلاب لي قد قدم سبعة أبحاث). وعندما ذهبوا إليها طلبوا مني أن أكون معهم، فذكرت لهم أن كوني قدمت حتى ساعتها 15 بحثاً، فهذا يجعلني لا أجد مبرراً لكي أطلب منها أن تخفض الأبحاث إلى عشرة، ولكنني على الرغم من ذلك وعدتهم بتدعيم طلباتهم في المحاضرة، وبأنني سأذكر لها أن ذلك الأمر أخذ من وقتي الكثير، على حساب مواد أخرى، وعلى حساب أهلي وأطفالي.

تقدموا بمذكرتهم وأرسلوا نسخة منها إلى رئيس القسم، وأخرى إلى عميد الكلية، فما كان منها إلا أن استدعت مجموعة منهم. وفي المحاضرة التي تلت تلك الشكوى، قالت: إنها حريصة علينا وإنها إذا لم تفعل ذلك فلن نحرص نحن على المادة، ثم إنها تعدّنا لكتابة الرسالة. ودار بعد ذلك نقاش طويل، في نهايته رضخت إلى مطالب الطلاب، ولكنها قالت: إن محمداً قدم حتى الآن 15 بحثاً، وبالتالي فإن الأبحاث الخمسة الباقية سوف أحسبها له نقاطاً إيجابية. الحمد لله، فمن تلك اللحظة تغيرت السيدة في تعاملها معي، حتى إنها لو فكرت في سب العرب، فإنها تتوجه لي وتعتذر مني، أو تقول: «عشان محمد.. لن أقول شيئاً».. فسبحان من سخرها وسبحان من كفاني شرها. ومن فرط الاحترام الذي نشأ بيننا، فقد درست عليها مادتين وطلبت منها أن تكون من ضمن أعضاء لجنة المناقشة في رسالة الماجستير. وعندما بدأت في برنامج الدكتوراة طلبت منها أن تكون المشرفة علي في البرنامج، فتقدمت لي بالشكر، واعتذرت قائلة: يا

محمد.. أنا سيدة كبيرة ومريضة بالسرطان، وفي أي لحظة معرضة للموت، ولا أريد أن أعلقك معي، أو أن تصل إلى مرحلة تضطر معها إلى تغيير البحث بسببي. وقد احترمت فيها ذلك الشيء وقدرتها. وكانت خلال تلك المدة قد تعرفت على زوجي ونشأت بينهم صداقة. والجدير بالذكر أن الأخ سعيد كان قد ترك الكلية، وكنت أقابله أسبوعياً، وكان يسألني عنها، فأقول له: الحمد لله، الأمور طيبة. وفي أحد الأيام.. اتصل بي سعيد، وقال: لقد قابلت الدكتورة بيكر ودار بيننا حديث، ثم سألتها عنك فقالت: «لقد غير ذلك الرجل نظرتي عنكم»، ثم سألني: ماذا فعلت لها؟ قلت: إن الله سخرها لي.. فتلك سهام الليل وما تفعل! فالحمد لله في الأول وفي الآخر.

❀ ❀ ❀

خطاب مفتوح للسعوديين

إن من يزور هذه البلاد.. بلاد الحرمين الشريفين.. ويخالط أهلها ويعيش.. ويتعامل معهم عن قرب سيرى أن تعاليم الدين الإسلامي إنما تتمثلُ في حركاتهم وتصرفاتهم وتقاليدهم وعاداتهم. ومن المؤكد أنه سيخرج بتلك الانطباعات والمفاهيم التي خرجت بها الصحفية الأمريكية (تانياسي هسو). وكانت قد حضرت إلى السعودية لحضور منتدى محلي في مدينة جدة، ومن ثم قررت أن تبقى مدة لتزور بعض مناطق السعودية، وتعرف أكثر عن هذه الدولة الغريبة عنها. وقد

نشرت جريدة (عرب نيوز) مقالاً صحفياً لتلك الصحفية، تمت ترجمته إلى العربية ونشر في جريدة الرياض تحت عنوان (خطاب مفتوح للسعوديين) في يوم الثلاثاء 30 /1426/4 هـ.

وقد تناولت الكاتبة في هذا المقال أموراً كثيرة، ومقارنات عدة عن حجاب المرأة الذي قالت عنه: إن فيه الخير لبنات جنسها في كل مكان وزمان، وإنه ضمن كامل حقوقها، واستدلت بأمهات المؤمنين السيدة خديجة والسيدة عائشة رضي الله عنهما وأرضاهما.

وكما قيل: فالحق ما شهدت به الأعداء.. مع أنني أرى أن الكاتبة أقرب للحق، وإن شاء الله تهتدي لطريق الإسلام الذي أجزم أنه قريب إلى قلبها. فلقد أدرجت في هذا المقال من المفارقات الشيء الكثير، وذلك لقيام الإعلام الأمريكي بعد أحداث 11 سبتمبر بحملات على المرأة السعودية وعلى المجتمع السعودي، وبدعوات ظالمة تقول: إن المرأة تقع تحت ظلم واضطهاد الرجل في هذا البلد المعطاء. وإليكم ما كتبت تلك المرأة رغم أنها من بلاد العم بوش. لقد كتبت وقالت:

«لقد شعرت بالغضب والإحباط بعد عودتي من المملكة العربية السعودية التي أمضيت فيها أربعة أسابيع مرتدية العباءة والحجاب.. ونظراً لأنني محللة متخصصة في شؤون المملكة العربية السعودية، فلقد عرفت الكثير مسبقاً عما هو متوقع مني عمله، ولم يمثل ارتدائي للحجاب وعدم تمكني من قيادة السيارة خلال المدة التي قضيتها هناك أي مشكلة بالنسبة لي. وبعد أربعة أسابيع طرت إلى أتلانتا مرتدية الحجاب.. ليس فقط لأختبر رد فعل الأمريكيين، ولكن لأنه

كان مريحاً وعملياً. ولقد أضفت إلى حجابي - بينما كنت أتسوق في (سوق البدو) بالرياض - البرقع، وأدركت ولأول مرة في حياتي أن الرجال يتحدثون إليَّ مباشرة بكل احترام وتقدير، دون أن يكون لجسدي بصفتي امرأة أثر في ذلك التقدير.

ويرجع سبب حضوري للمملكة إلى أنني كنت قد تلقيت دعوة بعد أن انتهيت من إعداد كتاب لي عن المملكة لحضور منتدى حوار محلي نشط بجدة. فقررت أن أمكث هناك قليلاً لأجمع المادة الخاصة بكتاب آخر لي عن المملكة أيضاً. قابلت خلال تلك المدة أناساً من جميع مشارب الحياة.. منهم الغني، ومنهم الفقير، منهم الأمهات، ومنهم النساء العاملات، منهم النساء الناجحات، والأخريات العاطلات عن العمل، منهم الأميرات ومنهم البدويات البائعات في الأسواق.. ومنهم ما هو بين هذا وذاك. التقيت بسعوديين أصليين وسعوديين مجنسين وأجانب، وعشت مع أسر سعودية كانت بعضها تستخدم الخدم، والبعض الآخر دون خدم.. كانوا جميعاً منفتحين وتواقين لمشاركة الرأي معي. فلقد تنقلت بحرية عبر البلاد، وجلست على موائد الطعام الفاخرة في المساء بمنازل السعوديين، ولم يكن باستطاعتي أن أتهرب من هذه الحفاوة وهذا الكرم، كما أنني لم أشاهد الرجال منفصلين عن النساء ألبتة.

وفي الرياض اعتدت على استخدام مكتب أحد الأصدقاء لمدة أسبوعين، وكان يتم التعامل معي بطريقة متكافئة مع الرجال، وتم إطلاعي على مناقشات تجارية على مستوى عالٍ. لقد توقعت بعد هذه الزيارة أن أعود للولايات المتحدة وأنا في موقف دفاعي أفضل

ولا سيما أنني كنت قد حاولت بعد أحداث 11 سبتمبر أن أشرح أوضاع المملكة للشعب الأمريكي دون جدوى، فقد أظهر عدم رغبته في الاستماع أو الفهم بعد أن أصبح هدفاً لتلك الهجمات. وواجهت صعوبة في ممارسة مهنتي لإصراري على إيضاح بعض القضايا السعودية للشعب الأمريكي، فشعرت بأنه من الممكن أن يلقى الشخص قبولاً إذا كان معادياً للحرب أو معارضاً لجورج بوش أو مؤيداً للفلسطينيين، ولكنه لن يلقى أي قبول من أي طرف سياسي داخل الولايات المتحدة إذا ما كان موالياً للسعوديين.. بما يعتبر وكأنه مضاجعة للعدو أو عبادة للشخص. فلم يكن يوجد سوى تغطية إعلامية بسيطة ومحدودة للمملكة في الغرب لا تتناول إلا موضوعات التجارة والنفط وإعلان الإصلاح. ولاحظت للأسف أنه لا يوجد داخل المملكة مواكبة للأحداث (على الرغم من مشاهدة السعوديين للقنوات الفضائية ومطالعتهم للصحف واستخدامهم للإنترنت)، فقد لاحظت ذلك حتى في «مكتبة جرير» الشهيرة التي لم تكن تعرض سوى كتب عن الرحلات والتصوير وحياة أشخاص تاريخيين مثل: «جيرترويد بيل وهاري فيلبي» فقط، ولا تعرض مادة سياسية للجمهور التواق للمعرفة السياسية.. ويعد هذا في حد ذاته مناقضاً للمنطق في هذه المرحلة. وواجهت بعض المضايقات بسبب إقفال المحلات أوقات الصلاة.. فالوقت في الولايات المتحدة يمر بطريقة مختلفة، حيث نسارع في الانتقال من مكان لآخر مما يوصلنا للإجهاد وحافة الانهيار، بينما شاهدت الأسر في جدة تسير في مجموعات مسترخية على (الكورنيش)، بينما يلعب أبناؤهم بالطائرات الورقية أو يركبون الحمير

أو يعدون اللحم المشوي في الهواء الطلق بعيداً عن الموسيقى الصاخبة التي تصم الآذان في الشوارع الأمريكية الرئيسة، تلك التي يشغلها المراهقون في سياراتهم المسرعة.

والسؤال هنا: ما الذي جعلني أشعر بالغضب؟ لقد ظل هناك سؤال يطاردني لم أحصل على إجابة شافية عنه خلال جميع مناقشاتي التي جرت بالمملكة.. فعندما كان يوجه سؤال لشخص حول أسباب شعوره بالفخر لكونه سعودياً، كانت الإجابات الشائعة آنذاك أن السبب في ذلك لكونه مسلماً أو عربياً مثلما أن المملكة هي موطن الحرمين الشريفين، ولكنني لم أتلقَّ إجابات حول القومية والروح الوطنية السعودية! ألا ترون ما في هذه الناحية من معنى؟

لقد ظللتم ولسنوات عديدة ماضية تعتذرون علانية عن بعض أعمال العنف التي وقعت بالمملكة.. تعتذرون عن الافتقار للإصلاح وبطء حركة التغيير، وسمعت مراراً وتكراراً عن الشعور باليأس الذي أعمى عيونكم عن رؤية ما يجري أمامكم من خطوات تغيير ونمو وإنشاء مؤسسات جديدة وجهود إصلاحية. إن لديكم أشياء كثيرة تجعلكم تشعرون بالفخر، ولكن أدبكم الجم ورقتكم قد سمحت للغرب بأن يطأكم بقدميه، وأن يصفكم بأنكم مصدر تهديد للديمقراطية وللعالم. يجب عليكم ألا تسمحوا بأن تستمر هذه النغمة. عليكم أن تسعوا للتقليل من المشاعر المعادية للسعوديين، والتوقف عن إعادة تأكيد نقاط ضعفكم.. إنكم أمة عزيزة، ولذلك فعليكم أن تترجموا مشاعر الاعتزاز والفخر ببلدكم من خلال العمل وليس فقط من خلال

المشاعر. عليكم أن تشرحوا للعالم كيف أنكم تحترمون النساء، وكيف أن بلدكم خالٍ نسبياً من الجريمة، وكيف أنه بلد آمن، وكيف أنكم تمنحون الأسرة الأولوية في الاهتمام. عليكم أن تخرجوا عن صمتكم وأن تتساءلوا: كيف أن الولايات المتحدة الدولة الرائدة في الجريمة وفي الاغتصاب وفي العنف المحلي، تجرؤ على اتهامكم بانتهاك حقوق الإنسان؟ عليكم أن تسألوا: كيف يدافع الأمريكيون عن تنفيذ أحكام الإعدام بقتل النساء والقاصرين والمتخلفين عقلياً بالكرسي الكهربائي؟ عليكم أن تبينوا كيف أن ديمقراطية الولايات المتحدة تسمح بتصدير أكبر صناعة للصور العارية في العالم. فلماذا تنتقد المملكة بسبب القيود التي تفرضها للحفاظ على الأخلاق؟ عليكم أن تبينوا لهم كيف أنه باستطاعة أي سعودي أن يترك محفظة نقوده أو الكاميرا الثمينة على المقعد الأمامي بالسيارة كما فعلت أنا، ويعود ويجدها في مكانها نفسه.. بينما ينهمك الأمريكيون في استخدام أجهزة الإنذار لإبعاد اللصوص! كما ينتشر المجرمون الذين يسيئون للأطفال في كل حي. عليكم أن تبينوا لهم أنكم تطبقون إجراءات أمنية صارمة وفريدة لمنع تكرار وقوع أعمال عنف حول بعض المجمعات السكنية، كالتي وقعت في السابق.. فهناك على سبيل المثال مجمع سكني بالخبر محاط بخمسة جدران أمنية وعربات مدرعة، وآخر محاط بثلاثة أنواع من التحصينات لضمان عدم عودة المجرمين مرة ثانية لمكان جريمتهم السابقة. فلماذا مثل هذا الشعور بالخوف من قبل الأمريكيين الذين يعملون الآن بالمملكة؟ عليكم أن تبينوا للأمريكيين أن العديد من الراهبات والقساوسة والمستوطنين اليهود والحاخامات والكاثوليكيين

يغطون رؤوسهم، فلماذا تعد تغطية المرأة السعودية لرأسها مظهراً من مظاهر الظلم؟ ولماذا يعتذر السعوديون عن بطء خطوات التقدم بينما استغرقت الولايات المتحدة مئتي عام لمنح المرأة حق الاقتراع، إذ لم يتم ذلك سوى في عام 1920؟ عليكم أن تبينوا للأمريكيين أنهم يميزون بين الرجل والمرأة في الدخل، بينما وظف الرسول محمد ﷺ للعمل في التجارة من قبل زوجه الأولى خديجة التي كانت امرأة ناجحة تماماً في أعمالها التجارية، كما حاربت زوج أخرى للرسول هي عائشة جنباً إلى جنب مع المقاتلين في إحدى الغزوات، ممّا يدل على أن الإسلام يمنع العنصرية والتمييز ضد المرأة. عليكم أن تبينوا للأمريكيين كيف أنه لم يتم إلغاء التفرقة العنصرية ضد السود سوى في عام 1963، بعد سلسلة من الاضطرابات وأعمال العنف! كما لا يزال التمييز شائعاً ضدهم، ولا يتم الاختلاط بهم من قبل الجنس الأبيض بحرية. لماذا تعطي الولايات المتحدة نفسها الحق في مهاجمة أي بلد عربي بينما لم يسبق أن وجهت أي دولة عربية تهديداً للولايات المتحدة؟ فهل هذا من الديمقراطية في شيء؟ الأهم من ذلك.. هل تأكدتم أن هذا هو الشيء الذي يريدونه؟ بالطبع هناك أشياء عديدة تحتاج لإصلاح داخل المملكة، وكل الدول تشهد صعوداً وهبوطاً، ولا يوجد فارق كبير بين الروتين في المملكة أو السويد أو فرنسا، وكذلك فإن الوزراء بتلك الدول كما هم بالمملكة يستقرون في مناصبهم ويقومون بأدوارهم في أجهزة الحكومة، وليس لديهم الرغبة في التغيير. إن لديكم أيها السعوديون مجموعة جاهزة من المتطوعين أو المتطوعات الذين يمكن استخدامهم لتحسين المستويات الأخلاقية

للناس، من خلال إبراز أن القيادة المتهورة محرمة في الدين لأنها قد تقود إلى إهدار أرواح الآخرين، وعليكم إبراز تحريم الدين لإلقاء أي شخص للأوساخ في الشوارع، وتلويثه البيئة بما يضر بصحة الناس.

وأخيراً فإذا ما أصبحت العولمة والتكنولوجيا سمة من سمات هذا العصر، فإن المصلح محمد بن عبد الوهاب قد دعا للإصلاح من أجل وحدة البلاد والعباد في القرن الثامن عشر الميلادي، ولذلك فمن الممكن استخدام الاجتهاد والنصوص الشرعية لتوحيد أبناء الأمة من أجل خدمة الإسلام والمملكة والكرامة القومية.

والحقيقة أن هناك لغزاً كامناً في المملكة، ربما يكون في طبيعة الناس أو ربما في طبيعة التاريخ أو ربما في طبيعة الأرض.. ولكن لو كانت قد أتيحت لي الفرصة في البقاء مدة أطول بالمملكة، لربما كنت قد واصلت البحث حتى أجد تفسيراً لهذا اللغز. أشعر بأن جزءاً من قلبي قد ظل ورائي في المملكة.. ولكنني آمل في أن أتمكن من العودة سريعاً للمملكة لمعرفة السبب في ذلك. انتهى المقال ولعل فيه ما قد يجيب أو يسكت تلك الأبواق التي فتحت أفواهها على هذا البلد وأهله.

ذر الرماد في العيون

خلال السنوات الثلاث الماضية عانت الجامعات الأمريكية من نقص توافد الطلبة من العالم الثالث ولا سيما من المسلمين والعرب، واشتكت إلى الكونغرس الأمريكي، ودارت رحى النقاشات حول

أوضاع الجامعات ومراكز اللغة فيها. فأغلقت مراكز، وسرح مدرسوها من جراء عدم إيفاد الطلاب، وإن وجد فيكون عادةً من بعض الدول التي لا يستطيع الطالب فيها دفع الرسوم بالمراكز والجامعة الأمريكية، أي: من الطلاب الموفدين من خلال المنح الدراسية التي تقدم من الجامعات الأمريكية. وبالتالي فقد قام وفد من الجامعات الأمريكية بزيارة بعض الدول العربية والإسلامية في بداية عام 2004، بهدف جذب واستقطاب طلاب جدد. ومع بداية عام 2006، أعيد فتح الباب للإيفاد بالمملكة، وتساهلت السفارة الأمريكية في منح التأشيرات بغرض الدراسة ولا سيما للإيفاد الجديد وللطلاب الجدد. وكانت معظم هذه الموافقات للطلاب من خريجي الثانوية العامة.. الأمر الذي يجعل هؤلاء الطلاب يتعرضون إلى تجارب وممارسات ليست لديهم خبرة أو دراية بها، لا سيما بعد جرح أحداث سبتمبر الذي لم يندمل بعد.

وقد حدثت مؤخراً حادثة تناقلتها وسائل الإعلام الأمريكية في أغلبها بشيء من السخرية. فقد قام شابان سعوديان من الموفدين بالبرنامج الجديد للبعثات 1426/ 1427، بالركوب في حافلة لنقل طلاب مدرسة ثانوية، بما يتعارض مع النظام بولاية فلوريدا التي تمنع ركوب أي غريب في الحافلات المدرسية لنقل الطلاب، تماماً مثلما هو سائر في بقية الولايات، وذلك لأن أغلب راكبيها دون سن الثامنة عشرة، وفقاً لنظام الولاية لصغار السن.

وفي أثناء ذهاب الحافلة إلى المدرسة، أقدم هذان الشابان على إزعاج بقية الركاب، بالتحدث باللغة العربية والضحك وإصدار أصوات مزعجة.. مما جعل سائق الحافلة يشك في أمرهما، فقام بإيقاف الحافلة، وتوجيه السؤال لهما عن سبب ما قاما به، كما استفسر عن جنسية كلٍ منهما، فذكرا أنهما مغربيان! مما زاد الطين بلة، فتم القبض عليهما، وحدد مبلغ الكفالة اللازمة لإخراجهما من السجن. فيا ترى من المسؤول عن ذلك؟ ومن سيدفع المبلغ عنهما؟

ولو تأملنا ذلك الأمر جلياً لوجدنا أن هناك أموراً عدة تنطوي تحت مظلة ذلك الفعل الذي أقدم عليه هذان الشابان. فنحن في تعليمنا وفي المراحل الأولى بالذات لم نحرص على تعليم الطالب النظام، ولم نحرص أيضاً على معاقبة الطالب عندما يخالف النظام.. فلم يتعلم الطالب احترام الممتلكات العامة، ولم يتعلم كذلك، أو لم يرَ حينما يخالف أو يسيء استخدام تلك الممتلكات العامة أن ذلك خطأ يستحق أن يعاقب عليه.. وبالتالي نشأ لدينا نوع من اللامبالاة بالنظام، وصل إلى حد الاستهتار ليس بالنظام فقط، ولكن أيضاً بمن يعمل به أو يقوم على تنفيذه. ولو قدر لأحدنا أن يطلع على ما يدور في مدارسنا الابتدائية لرأى العجب العجاب.

ففي الغرب، ومنذ مرحلة الحضانة، يتلقى الطفل الأساسيات التربوية في التعامل، والحرص على النظام والنظافة ومبدأ الاعتماد على النفس، والحفاظ على الممتلكات العامة.. والأجمل من ذلك الأدب

في التعامل وتعويده على كلمات جميلة مثل: لو سمحت.. شكراً.. آسف.. إلخ، بحيث تترسخ في الأذهان تلك المفاهيم والمبادئ الرائعة بل تكبر معه.

أما الحال في مدارسنا فهو على النقيض من ذلك تماماً، إلى درجة أننا نشعر أحياناً بأن أطفالنا يكونون بأمان حتى سن دخول المدرسة، فيبدأ بعدها التصادم الحقيقي عند الطفل بين ما ربي عليه من قيم وبين المدرسة وما تحفل به من اختلاف المفاهيم وقانون الغابة السائد حيث البقاء للأقوى.. فلا اهتمام ولا متابعة ولا إشراف، وأصبح يتملكنا إحساس عجيب بالإحباط من العملية التعليمية برمتها، المتمثلة في المعلم، لكونه القدوة من جهة ولكونه هو المنوط به تقديم المناهج من جهة أخرى. فنجد الطالب يخالف النظام ولا يجد من يقول له: إن ذلك خطأ، بل إن الطالب في الواقع لا يعلم أن ذلك خطأ، لأنه لم يتعلم النظام وقواعده من المدرسة أو المعلم على حدٍ سواء. فقانون الغابة الذي يتعامل به الطلاب في الصفوف الأولى وفي أوقات الراحة (الفسح) وبين الحصص الدراسية على سبيل المثال، يمر بلا رادع لهم ولا معلم يقف معهم، فتجد الجري والضرب والرفس ومبدأ اغتصاب ما في أيدي الآخرين. كل ذلك انعكس على تربية النشء وعلى تصرفاتهم داخل وخارج المدرسة. ومن انعكاسات ذلك على أولئك الطلاب، أنهم في نهاية المطاف عندما يخرجون إلى بلاد أو دول أخرى يحترم فيها النظام ويعاقب مخالفه، تجدهم يثيرون الشغب والفوضى لعدم انضباطهم وعدم احترامهم للأنظمة والقوانين السائدة في هذه البلدان، ويصبح كل شيء لديهم يشترى بالمال!

وفي الختام هناك موفد أرسل لي رسالة وعنونها بـ: «رسالة من موفد في أمريكا».. ومما جاء في هذه الرسالة: (بداية أود أن أخبرك بأنني أكتب لك هذه الرسالة الواقعية والمؤلمة من داخل (العمق) الأمريكي، ومن أواسط الحياة الاجتماعية والتعليمية الأمريكية... فأنا أحد الموفدين للولايات المتحدة لمرحلة (الماجستير) منذ سنة ونصف تقريباً، عن طريق إحدى الدوائر الحكومية بالمملكة. كان معي في مرحلة الدراسة (قلة) من الموفدين السعوديين الذين يمثلون أنموذجاً حضارياً ووجهاً مشرقاً للمسلمين أولاً، ولوطننا الغالي ثانياً، ومن ورائنا هدف آخر هو تحسين الصورة المشوهة عنا لدى الغرب الأمريكي، ولاسيما بعد الأحداث المعروفة لدى الجميع.

ولكي أدخل بك وبالقراء إلى صلب الموضوع مباشرة، أود أن أخبرك أنه ومع بداية السنة الدراسية، فوجئ الجميع عندنا بوصول عدد كبير، وسيل هادر من الطلبة السعوديين، للدراسة بالجامعات الأمريكية، بدرجة أذهلت الجميع. في البداية استبشرت أنا ومن معي بذلك، لتوقعنا ومعرفتنا بأن (الموفد) عادة ما يكون ذا عقلية ناضجة وتفكير عميق، لأنه يمر عادةً باختبارات تؤهله للانتقال إلى مرحلة (الإيفاد) بالخارج قبل سفره.

ولكن.. ومع مرور الأيام (القليلة) ظهر لنا ما لم يكن في الحسبان.. لقد فوجئ الجميع بأن هؤلاء الطلبة الموفدين غالبيتهم من حملة الشهادة (الثانوية) وأعمارهم صغيرة جداً، كما أن إجراءات إيفادهم كانت متيسرة جداً جداً، على عكس ما لاقيناه نحن من صعوبات للحصول على هذه البعثة! وزاد الأمر ذهولاً ودهشة أن الكثيرين من

هؤلاء الطلبة كانت مستوياتهم الدراسية متدنية جداً، لدرجة أن بعضهم قد تخرج بتقدير (مقبول)، أي: إن تقديره هذا لا يخوله الدخول في الجامعات السعودية، فما بالك بالدراسة في الخارج؟

ومع مرور الساعات وانقضاء الأيام، ظلت طوابير الطلبة تتوافد علينا باستمرار، وبدأنا نرى أموراً - والله - يندى لها الجبين، وتدمع لها الأعين. فبدأنا نراهم يتخلون بأسرع ما يكون عن دينهم من الصلوات والأخلاقيات.. عن قيمهم وعاداتهم، حتى رأيناهم وبسرعة مذهلة قد علقوا السلاسل في رقابهم، ووضعوا في الآذان (الحلقين) تلك التي تعرف بالإنجليزية بـ (Piercing)، ونرى وجوههم وكأنها أشباح خرجت لتوها من القبور.. التفاتاتهم.. نظراتهم.. سلوكياتهم.. أخلاقياتهم.. هيجانهم وتمردهم، كل ذلك كان يُبشر بخطر قادم على هؤلاء الفتية الصغار.

والله لن أبالغ إن قلت إننا نراهم يتزاحمون في شوارع المراقص والبارات، ويتفاوضون مع من هم أكبر منهم لشراء (الشراب) لهم لأن الأنظمة تمنعهم من ذلك لكون أعمارهم دون سن الحادية والعشرين.. لقد كانت عقولهم محصورة في الجنس واللهو! باختصار: الوضع ينذر بكارثة قادمة ما لم يكن هناك تحرك سريع وعاجل لتدارك الأمر، وإعادة دراسة هذا القرار.

وبالمناسبة فقد حدث في جامعتي التي أدرس بها ذات يوم أن قام اثنان من الطلاب بإحداث حالة من الشغب في إحدى المحال التجارية وهم تحت وطأة السكر الشديد! وقد تضخم موضوع الشغب، وخرج

عن إطار السيطرة حتى علمت السفارة السعودية هناك بهذه الحادثة، ووصل الأمر إلى (إف بي آي) الذي قام بدوره بإشعار مديرة الجامعة المسؤولة عن مراقبة الطلبة الأجانب بذلك، فما كان منها إلا أن تقدمت باستقالتها بسبب ما تعانيه باستمرار من مشكلاتهم الكثيرة).

و يواصل الموفد قائلاً: (أخي! أسألك بالله أن تقوم بنشر هذه الرسالة؛ لأننا نحن الموفدين (القدامى) أصبحنا متضررين جداً من تصرفات هؤلاء الطلبة، كما أن ذلك قد نال كثيراً من سمعة السعوديين هناك حتى إن الصورة تشوهت لأبعد مما تتصور.

فوالله إن هذا القرار سيتسبب في كارثة للوطن، لأن غالبية هؤلاء الموفدين قليلو الخبرة، وصغار في السن، لم يأتوا إلى هنا بهدف الدراسة بقدر ما كان همهم المرح والتسلية. لذا، آمل أن يصل صوتي هذا وهو أيضاً صوت كل موفد غيور على دينه ووطنه وإخوته الموفدين إلى المسؤولين لعلهم يعيدون دراسة هذا القرار من جديد ويضعون شروطاً صارمة له من اختبارات ودورات تأهيلية قبل إيفاد أي طالب إلى هناك).. انتهى كلام المرسل، وقد حققت رغبة المرسل في إدراج هذه الرسالة كما أرسلت، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.

obeikandl.com

الخاتمة

إخواني وأعزائي القراء.. لقد حاولت جد المحاولة أن أتجمل في الكتابة، ولكنني آثرتُ أن أتحرى المصداقية.. فالكاتب يجب أن يتحرى الصدق ويتخذه شعاراً ودثاراً في الحياة، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴿٣٣﴾ ﴾ (الزمر: 33)، فيجب إذن أن يتتبع الكاتب كل معلومة وكل خبر يفيد ما يكتبه. ولقد اجتهدت كثيراً وتحريت الدقة في صدق المعلومة وصحة الخبر. وقد يرى القارئ أن هذا الكتاب طويل بعض الشيء، فأرجو المعذرة لأنني لم أكن أملك الوقت الكافي للكتابة.. وقد يستغرب بعضهم ويسأل: كيف لا تملك وقتاً وقد كتبت كل هذه الصفحات؟

أقول الحقيقة أن تلك الملاحظة غير صحيحة؛ لأن الذي لا يملك وقتاً ومتسعاً من الوقت للكتابة، فإن كتابته على العكس تأتي مسهبة ومطولة، لكونه يتحدث ويدون كل ما يدور في رأسه من معلومات.. موضوعات.. تساؤلات.. تعليقات.. قصص دون ترتيب، لكنه لو امتلك الوقت الكافي لفكر كثيراً، وتأمل وأعاد النظر مراراً وتكراراً، ولربما تردد في أن يكتب كل شيء.

ولكنني في الحقيقة بعد عودتي من أمريكا وتأخر حصولي على تأشيرة العودة، وبعد أن سمعت وعلمت بأخبار بعض الإخوة السعوديين الذين لم يتمكنوا من العودة لسبب أو لآخر، بدأت أفكر في تدوين

أحداث تلك الحقبة من حياتي. وقد احتاج الأمر مني إلى ذكر بعض التفاصيل بعد الاستئذان من الأبطال الحقيقيين لتلك القصص والمواقف. فبعضهم رحب بالفكرة وباركها، وبعضهم تحفّظ، وآخرون رفضوا الإشارة إليهم.. على الرغم من حدوث مواقف صعبة ومهمة لهم خلال مدة إيفادهم. ولقد احترمت وجهات نظر الجميع في ذلك، لمعرفتي بطبيعة حياتنا الاجتماعية، وعاداتنا.. فلم أتطرق لها ولو من باب التلميح.

ومن الجدير بالذكر أن كل وقائع هذا الكتاب حدثت على أرض الواقع وأغلبها موثقة.. سواء بمعايشتي لها، أو بتدوينها من وسائل الإعلام الأمريكية والعربية، المقروءة أو المرئية أو المسموعة.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر والعرفان، لكل من منحني الحرية في ذكر جانب من حياته أو أسهم معي بقصة أو موقف معين؛ لأن الجميع تضرر من تلك الحقبة العصيبة، بل ما زال بعضهم يعاني منها. أسأل الله أن يفرج عنهم كل مكروب، وأن يعيد كل مغترب سالماً معافىً غانماً إلى وطنه.

سبحانَكَ اللهُمَّ وبحمدِك

أشهدُ أن لا إله إلا أنت

أستغفرُك وأتوبُ إليك.

obeikandl.com